

نفحات إيمانية في عالم علماني: المبادئ الإنسانية من منظور إسلامي

«لوسي في. ساليك»*

«لوسي في. ساليك» تشغل منصب كبير مستشاري السياسات في مجال تحول النزاعات لدى منظمة الإغاثة الإسلامية حيث صممت للمنظمة «العمل في النزاع: مجموعة أدوات قائمة على العقيدة للإغاثة الإسلامية». في 2014¹

ملخص

شهدت السنوات الأخيرة المزيد والمزيد من التفاعل والمشاركة بين المنظمات الدينية والمنظمات الإنسانية العلمانية. وفي الوقت الذي تعمل فيه المنظمات الإنسانية تحت مظلة المبادئ الإنسانية المتمثلة في الإنسانية والحياد وعدم التحيز والاستقلال، يُعتقد في كثير من الأحيان أن المنظمات الدينية لا يمكن أن تكون محايدة أو غير متحيزة بسبب هويتها وأهدافها الدينية. واستناداً إلى أبحاث منظمة الإغاثة الإسلامية، ينظر هذا المقال نظرة ناقدة إلى العلاقات التي يمكن إقامتها بين المبادئ الدينية الإسلامية وتلك المبادئ التي يُتمسك بها باعتبارها محور العمل الإنساني العلماني. ويستعرض المقال إطار مقاصد الشريعة الإسلامية كمثال يوضح كيف يمكن للنهج القائمة على أساس الدين أن توفر أساساً لعمل إنساني وثيق الصلة بالمجتمعات الإسلامية ومكمل للمبادئ الإنسانية.

الكلمات الرئيسية: المبادئ الإنسانية، منظمة الإغاثة الإسلامية، علماني، دين، تطوير، مساعدة إنسانية، منظمات دينية.

* كانت تعرف سابقاً باسم «لوسي في. مور». كتبت المؤلفة هذا المقال بصفتها الشخصية وهو لا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر منظمة الإغاثة الإسلامية أو رأيها. تشكر المؤلفة منظمة الإغاثة الإسلامية على الإذن بالاعتماد على عملها والوقت الذي خصصته المنظمة لتقديم ملاحظات قيمة.

1 متاحة على:

<http://policy.islamic-relief.com/portfolio/working-in-conflict-a-faith-based-toolkit/>

(تاريخ الاطلاع على جميع مراجع الإنترنت في كانون الأول/ ديسمبر 2014)

يبدو للوهلة الأولى أن الجهات الإسلامية تشارك مشاركة محدودة أو لا تشارك على الإطلاق في تطوير القانون الدولي الإنساني والمبادئ التي توجه العمل الإنساني (مثل الإنسانية والحياد وعدم التحيز والاستقلال). فلم تكن هناك دول إسلامية حاضرة في مؤتمر جنيف الدولي المنعقد في 1863،² وكان دور الجهات الإسلامية قاصراً في البداية على دور الطرف «الأخر» السلبي. ولكن بمرور الوقت أدى تأثير ممثلي الجهات الإسلامية إلى توسيع مفهوم الإنسانية:

كان الإسلام في البداية يمثل طرفاً «آخر» مهماً يأتي من الشرق بحيث يرسم قانون الحرب الذي ظهر حديثاً ملامحه في مقابل هذا الطرف. ولكن بسبب الاتجاهات العالمية والإنسانية لهذا القانون، فقد اضطر إلى استيعاب مواضيع من نظم ثقافية وقانونية مختلفة وبالتالي التخلي عن أصوله المسيحية. وبذلك، فإن الإسلام شجع على تعريف القانون الدولي الإنساني بمصطلحات علمانية وعلمية.³

يرى «كوكين» أن الديناميات العلمانية الموجودة في القانون الدولي الإنساني كانت نتاجاً لضغوط مورست لمراعاة الاختلافات الموجودة في النظم الإسلامية، لا سيما من وفد الإمبراطورية العثمانية والوفد الفارسي.⁴

من المعترف به على نحو متزايد أن الهوية الدينية يُنظر إليها على أنها تفرض خطراً متأسلاً على حياد الأنشطة الإنسانية أو عدم تحيزها بسبب المهام المتعارضة بل والمتناقضة بين الأهداف الإنسانية و«الدينية». وفي مراحل مختلفة، اعتبر الدين مناقضاً لـ «التطوير» وظل الاعتقاد أن النهج الدينية بمقدورها تشجيع التحالفات الحزبية وخلق نزاعات.⁵ وهناك مفارقة قوية في مدى تأثير وجهة النظر المذكورة التي تراعي الدور الذي نهض به الدين وعوامل العقيدة في تطوير القانون الدولي الإنساني وتقديم المساعدة لمن يحتاجونها، وذلك قبل ظهور مفهوم القطاع الإنساني المحترف والعلماني بفترة طويلة.⁶ ولا يعني هذا أن تلك المخاوف لا تستند إلى أمثلة واقعية لسلوكيات ومواقف ضارة من جانب الجماعات الدينية، تشمل الممارسات التبشيرية الحصرية والسداجة في التعامل مع ديناميات القوة المتأصلة في تقديم المساعدة الإنسانية. وتمتد نتائج هذه المشكلات من الحوادث الدبلوماسية التي تنتقل إلى

2 أعطى مؤتمر جنيف الدولي لعام 1863 الدافع لتطوير القوانين الإنسانية التي تجسدت في اتفاقيات جنيف للأعوام 1864 و1906 و1929 و1949. وكان أيضاً المؤتمر التأسيسي للحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.

3 «جيمس كوكين»، «الإسلام والقانون الدولي الإنساني من صدام الحضارات إلى الحوار بيننا»، *المجلة الدولية للصليب الأحمر*، المجلد 84، العدد 847، 2002، الصفحات 599-600، متاح على الرابط التالي:

https://www.icrc.org/ara/assets/files/other/james_cockayne_2002_ara.pdf

4 المرجع السابق.

5 Wilfred Mlay, "Some Myths about Faith-Based Humanitarian Aid", *Humanitarian Exchange Magazine*, 27 July 2004, available at:

www.odihpn.org/humanitarian-exchange-magazine/issue-27/some-mythsabout-faith-based-humanitarian-aid

6 Carolyn Evans, "The Double-Edged Sword: Religious Influences on International Humanitarian Law", *Melbourne Journal of International Law*, Vol. 6, 2005; Mashood A. Baderin, "Religion and International Law: Friends or Foes?", *European Human Rights Law Review*, No. 5, 2009

الساحة الدولية⁷ إلى تجاهل العوامل والسمات المحلية لدرجة تصل إلى حد الكوميديا.⁸

يشير «اللورد كاري»، رئيس أساقفة كانتربري السابق إلى عامي 1997 و1998 والحوار بين الأديان حول التنمية على أنهما يقدمان نقطة تحول بارزة في العلاقة بين المنظمات الدولية والمنظمات الدينية،⁹ فيما يمثل حدثاً سعى إلى فهم دور العقيدة والمنظمات الدينية والمؤسسات الدينية في تقديم الخدمات وتطوير الأنشطة الإنسانية.¹⁰ فمنذ ذلك الحين، شكل الحوار زيادة تدريجية في الاهتمام الذي أبداه هيكل المساعدات الدولية بدور المنظمات الدينية والمجتمعات الدينية والزعماء الدينيين في تقديم المساعدات الإنسانية، والذي ارتبط في أغلب الأحوال بمسائل «القيمة المضافة» للعقيدة. وعلى الرغم من أن التركيز على تقديم الخدمة يظل النهج الأكثر شيوعاً من جانب الجهات الإنسانية المانحة التي تعمل على نطاق واسع في مقابل المنظمات الدينية، فقد تطورت طبيعة الحوار بطرق تشير إلى زيادة قبول «القيمة» التي تقدمها المنظمات الدينية والانخراط مع الجهات التي تعمل على أساس الدين بصورة أوسع نطاقاً. ومنذ عام 2005، وضعت على الأقل خمس وكالات تابعة للأمم المتحدة أدلة أو أطر بشأن العمل مع المجتمعات الدينية،¹¹ ومنذ عام 2010 تستضيف كلية موظفي

7 يمكن الاطلاع على أمثلة على هذه الحوادث في:

Michael D. McGinnis, "Proselytism Games and Humanitarian Aid", prepared for and presented at the Annual Meeting of the Association for the Study of Religion, Economics, and Culture (ASREC) and the Society for the Scientific Study of Religion, Portland, OR, 19–21 October 2006, available at:

www.global.ucsb.edu/orfaleacenter/luce/luce08/documents/McGinnis-ProselytismGames.pdf.

8 علي سبيل المثال، في مقابلات مجهولة مع المؤلف في 2011-2012، أشارت مجموعة من الأشخاص البوسنيين النازحين داخلياً سابقاً إلى أن المساعدات المقدمة من بعض البلدان ذات الأغلبية المسلمة أثناء فترة التسعينيات تضمنت مصاحف وكتيبات حول الطقوس الدينية، على الرغم من أن من تلقوا المساعدات من مجتمعات مسلمة نتاح لها فرص كبيرة للحصول على هذه المصادر بلغتهم الأصلية. وقد أثار هذا التصرف دهشة من أجريت معهم المقابلات وأيضاً شعورهم بالإحباط لأن هذه الموارد كان من الممكن أن تسهم في توفير الإمدادات اللازمة بدلاً من ذلك.

9 يواجه هذا المصطلح صعوبات كثيرة في تعريفه حيث يتضمن مجموعة متنوعة من المنظمات التي تمثل مهام وقطاعات متنوعة. ولكن يظل مصطلح «المنظمات الدينية» ومصطلح «المنظمات التي تستلهم أفكارها من الدين» هما أكثر المصطلحات من حيث الاستخدام والاعتراف بهما، وبالتالي يُستخدمان في هذا المقال حسب التعريف الذي قدمه Gerard Clarke: «أي منظمة تستمد الإلهام أو التوجيه لأنشطتها من تعاليم ومبادئ الدين أو من تفسير أو مذهب فكري معين داخل الدين»

Gerard Clarke and Michael Jennings (eds), *Development, Civil Society and Faith Based Organisations: Bridging the Sacred and the Secular*, Palgrave Macmillan, Hampshire and London, 2008, available at:

[www.palgraveconnect.com/pc/polintstudextd/browse/inside/inline/9780230371262.pdf?chapterDoi=%7Bchapter.getDoiWithoutPrefix\(\)%7D](http://www.palgraveconnect.com/pc/polintstudextd/browse/inside/inline/9780230371262.pdf?chapterDoi=%7Bchapter.getDoiWithoutPrefix()%7D).

10 المرجع السابق، pp. xv–xvi "Foreword by Lord Carey"، على سبيل المثال، تتضمن المبادئ التوجيهية التي وضعتها وكالات الأمم المتحدة بشأن العمل مع المجتمعات والمنظمات الدينية ما يلي:

11 Volker Türk, José Riera and Marie-Claude Poirier (eds), *Partnership Note: On Faith-Based Organisations, Local Faith Communities and Faith Leaders*, UNHCR, 2014, available at:

www.unhcr.org/539ef28b9.pdf; United Nations Population Fund, Culture Matters: *Working with Communities and Faith-based Organizations*, 2005, available at:

www.unfpa.org/resources/culturematters-%E2%80%93-working-communities-and-faith-based-organizations#sthash.3Fg6GAIW.dpuf; UNAIDS, *Partnership with Faith-based Organizations: UNAIDS Strategic Framework*, 2009, available at:

www.unaids.org/sites/default/files/media_asset/20100326_jc1786_partnership_fbo_en_0.pdf; UNICEF, *Partnering with Religious Communities for Children*, 2012, available at:

www.unicef.org/about/partnerships/files/Partnering_with_Religious_Communities_for_Children_%28UNICEF%29.pdf; and United Nations Development Programme, *UNDP Guidelines on Engaging with Faith-based Organizations and Religious Leaders*, 2014, available at:

www.undp.org/content/dam/undp/documents/partners/civil_society/publications/UNDP-CSO-Engaging-FBOs-RLs-October-2014.pdf

الأمم المتحدة ثلاث فعاليات لتبادل التعلم الاستراتيجي بين وكالات الأمم المتحدة والمنظمات الدينية¹² وتتضمن الأمثلة الأخرى إطلاق مبادرة التعلم المشترك حول الدين والمجتمعات المحلية في 2012 بهدف بناء فهم جماعي لإمكانات المجتمعات الدينية المحلية بغض تحسين الصحة والرفاه المجتمعية،¹³ والحوار الرفيع المستوى الذي أطلقته مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين حول حماية اللاجئين للزعماء الدينيين والمنظمات الإنسانية الدينية الذي عقد أيضاً في 2012. ناقش هذا الحوار القيم المشتركة التي توجه المساعدة للسكان اللاجئين وسعى إلى تعزيز علاقات أعمق بين المؤسسات العلمانية والمؤسسات الدينية،¹⁴ وصدرت عنه وثيقة «الترحيب بالغريب»¹⁵ التي تمثل تطوراً مبتكراً يمكن القول إنه لم يُسمع عنه منذ عقد مضي.

تطورت مساعي الانخراط مع الجهات الدينية وهي تسعى سعياً حتمياً إلى مواجهة تاريخ طويل من تفسير الهوية الدينية على أنها منحازة بطبيعتها. وتمثلت نتيجة هذا التاريخ في الضغط على المنظمات الدينية المشاركة في العمل الإنساني لتتوافق مع الروايات العلمانية لكي تكون مؤهلة للحصول على تمويل من الجهات المانحة الرئيسية؛ وقد كان لهذا تأثير ملموس.¹⁶ يلاحظ «ريك جيمس» بالمركز الدولي للتدريب والبحوث للمنظمات غير الحكومية¹⁷ أن المنظمات الدينية تقلل من شأن هويتها الدينية، حتى مع تزايد الاهتمام من جانب الجهات المانحة والانفتاح على العمل مع الجماعات الدينية. وتتردد كثير من هذه المنظمات في كسر الحواجز التي وُضعت، ربما بسبب التهديد الذي قد يفرضه هذا التصرف على هويتها المهنية. وتشير أبحاث «جيمس» إلى أن هذا الانقسام ربما كان أقل قوة بالنسبة للمنظمات المسلمة، ومع ذلك فقد عانت منظمة الإغاثة الإسلامية أيضاً من نتائج هذه الضغوط.

تطورت منظمة الإغاثة الإسلامية من مجموعة صغيرة من المتطوعين في عام 1984 لتصبح أكبر منظمة إسلامية غير حكومية في العالم بعد هذا التاريخ بثلاثين عاماً. ومع تحول المنظمة إلى جزء من النظام الدولي، طرحت في نهاية المطاف أسئلة حول إلى أي

12 انظر:

www.unssc.org/home/activities/engaging-faith-organisations-and-communities-development-and-humanitarian-work. 2014. بخصوص الفعاليات التي حضرتها المؤلفة في 2014.

13 انظر الموقع الإلكتروني لمبادرة Joint Learning Initiative on Local Faith Communities، متاحة على الرابط التالي:

<http://jilfjc.com/about/>

14 يمكن الاطلاع على مزيد من المعلومات حول جلسة «الدين والحماية بالمشاروات السنوية للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين مع المنظمات غير الحكومية على الرابط التالي:

www.unhcr.org/pages/501a39ce6.html

15 المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، «الترحيب بالغريب: إقرار للقادة الدينيين»، 2013، متاح على الرابط التالي:

www.unhcr.org/51b6de419.html

16 Alistair Ager, "Faith and the Discourse of Secular Humanitarianism", *Journal of Refugee Studies*, Vol. 24, No. 3, 2011

17 Rick James, *What is Distinctive About FBOs? How European FBOs Define and Operationalise Their Faith*, Praxis Paper No. 22, INTRAC, 2009, available at:

www.intrac.org/data/files/resources/482/Praxis-Paper-22-What-is-Distinctive-About-FBOs.pdf

مدى يؤدي الالتزام بالمبادئ الإنسانية والقيم «العلمانية»¹⁸ للقطاع الأوسع نطاقاً إلى النيل من هويتها كمنظمة دينية إسلامية. قامت المنظمة على أساس أن تقديم العطاء والمساعدة الخيرية للآخرين فرض ديني؛¹⁹ فالدين كان ولا يزال مصدر الإلهام البين لأغلب الموظفين والمتطوعين.²⁰ ولكن ما يعنيه الدين الإسلامي لنهج المنظمة في العمل الإنساني بات أقل وضوحاً بمرور الوقت. فقد كان الاغتراب واضحاً بين اللغة العلمانية للقطاع الإنساني واللغة والمعاني الدينية كما كانت تفهم داخلياً. ولا يعني هذا أن القيم أو الاستجابة كانت متناقضة، بل بالأحرى كان هناك قصور في فهم كيف يرتبط الاثنان ببعضهما البعض ويوجهان بعضهما البعض.²¹ وقد نالت هذه المسألة اهتماماً متزايداً أثناء المراجعة الاستراتيجية للإغاثة الإسلامية في 2010، ونتيجة لذلك اتخذت المنظمة القرار باستغلال تمويل تنمية البرامج المقدم من وزارة التنمية الدولية بالمملكة المتحدة²² للبحث في هذا المجال، خاصة لزيادة المعرفة والفهم اللازمين لتطوير نهج يقوم على «المعرفة الدينية» للعمل الإنساني من جانب منظمة الإغاثة الإسلامية. ومن ثم، صدرت مطبوعات وسياسات تتناول التعاليم الدينية المعقدة المرتبطة بالعديد من المسائل²³ بغرض ترجمة نهج إسلامي «ديني» للإنسانية والتنمية إلى موارد ونهج عملية.²⁴ وهذه الرحلة ليست قاصرة على منظمة الإغاثة الإسلامية ولكنها تدل على خبرة مجموعة واسعة من المؤسسات التي تقوم على أساس الدين والمؤسسات التي تستلهم مبادئ الدين في عملها والتي تسعى إلى إحياء هذه المعرفة والإلهام بطريقة تؤثر على نهجها في العمل الإنساني.

18 على الرغم من أن المبادئ والتوجهات الدولية (بما في ذلك «النهج القائم على أساس الحقوق») وُضعت لتهيئة أرضية عالمية مشتركة لمساعدة المحتاجين، فإنها لم تخل من الانتقادات بسبب علاقتها بخطة سياسية «غربية» أو استنادها إلى أسس نظرية. انظر على سبيل المثال:

Juliano E. M. Fiori, *The Discourse of Western Humanitarianism*, Institut de Relations Internationales et Stratégiques, October 2013, available at:

www.iris-france.org/docs/kfm_docs/docs/obs_questions_humanitaires/ENG-JulianoEM-Fiori-october2013.pdf

19 Interview with Dr Hany el-Banna at the Berkley Centre for Religion, Peace and World Affairs, 3 December 2007, available at

<http://berkeleycenter.georgetown.edu/interviews/a-discussion-with-dr-hany-el-bannapresident-and-co-founder-islamic-relief>

من المهم الإشارة إلى أنه حتى في المرحلة الأولى، نحتاج إلى التأكيد على أن الهوية الدينية للمنظمة لا تعني أن التحيز واضح: «عرضتها كفضية أخلاقية واستجابتنا كواجب لا يقتصر على المسلمين والمسيحيين، بل كل إنسان... كانت رسالتنا تتعلق بالحاجة والمسؤولية وأكدنا على ضرورة مساعدة إخواننا من البشر، دون شروط، كواجب ينبع من كل دين، متبعين تعاليم المسيح وإبراهيم ومحمد وغيرهم من الأنبياء. ويجب ألا يكون هناك أي تمييز سياسي أو إثني أو عرقي في مواجهة الحاجة».

20 على عكس بعض المنظمات الدينية الأخرى، تعمل منظمة الإغاثة الإسلامية بسياسة تشغيل غير تمييزية ولا يشترط أن يكون الشخص مسلماً لكي ينضم إلى المنظمة، على الرغم من أن الموظفين يتوقع منهم التقيد بقيم المنظمة والالتزام بها. ونتيجة لذلك، يعمل بمنظمة الإغاثة الإسلامية عدداً كبيراً من الموظفين من خلفيات دينية أخرى من جميع أنحاء العالم.

21 مقابلات ومناقشات مع موظفي الإغاثة الإسلامية من كانون الثاني/يناير 2013 ونيسان/أبريل 2015.

22 Records of the Programme Partnership Arrangement funding to Islamic Relief are listed at: www.gov.uk/programme-partnership-arrangements-ppas and <http://devtracker.dfid.gov.uk/projects/GB-1-102415/>

23 بشأن مفاهيم الإنسانية والكرامة وسلوك الحماية والالتزامات البيئية والمساواة بين الجنسين على سبيل المثال لا الحصر. أغلب أبحاث منظمة الإغاثة الإسلامية حول هذه المواضيع متاحة للجمهور على الرابط التالي:

<http://policy.islamic-relief.com/publication/>

24 المصادر المتاحة للجمهور منشورة على الموقع الإلكتروني لمنظمة الإغاثة الإسلامية: <http://policy.islamic-relief.com/publication/>.

وعلى الصعيد الدولي، التزمت المنظمات الإنسانية طواعية وعلى نحو صحيح بالمبادئ الإنسانية²⁵ ولكن السياق الذي يحتل فيه التعاون مع المنظمات والمجتمعات الدينية مساحة متزايدة على جدول الأعمال يمثل أيضًا فرصة للتأمل في طبيعة العلاقة بين المنظمات الدينية وتلك المبادئ في الوقت الحالي و(في حالة هذا المقال) والدراسة الناقدة لكيفية إقامة الحوار بين المبادئ الإنسانية وأصول الدين الإسلامي. بُذلت جهود متميزة على عدد من الأصعدة لتطوير مجموعة المعارف التي تربط القانون الدولي الإنساني بالشرعية الإسلامية والنظرية القانونية، لا سيما من خلال جهود اللجنة الدولية للصليب الأحمر (اللجنة الدولية)²⁶ وجهات أخرى من بينها جامعة سير اكيوز.²⁷ حدد «سكوينديمان» الصعوبات المرتبطة بنقص المعرفة بالإطار القانوني للقانون الدولي الإنساني،²⁸ ويقال إن الجهات الفاعلة في المجال الإنساني يمكنها أن تستوعب فكرة المبادئ الإنسانية على نحو أوسع وأيسر. ويجب على أقل تقدير تقديم المساعدة وفقًا لهذه المبادئ لتجنب اعتبار المساعدة «تدخلًا غير قانوني في الشؤون الداخلية».²⁹

وبغرض توجيه نظرة ناقدة إلى كيفية حدوث الحوار بين المبادئ الإنسانية وأصول الدين الإسلامي، سيعالج هذا المقال في البداية المبادئ الإنسانية والمبادئ الإسلامية جنبًا إلى جنب وسيناقش القواسم المشتركة والعناصر التكاملية فيما بينهما. ثم سيستخدم المقال نهجًا ناقدًا لدراسة المواطن التي قد تنشأ فيها الخلافات والشواغل الأخلاقية من الفروق الدقيقة في العلاقة بين القيم التي تتمسك بها المنظمات الدينية الإسلامية والالتزام بالمبادئ الإنسانية. يتبع هذا مناقشة لمدى إمكانية الاستفادة من الدين والجهات الدينية، والمشكلات التي يتسبب فيها هذا الأمر بالنسبة للعمل الإنساني. وأخيرًا، سيتناول المقال المسار المستقبلي المحتمل وسيعرض كيف يمكن أن يدور الحوار بين المبادئ الدينية والإنسانية في واقع الممارسات العملية للخروج بنهج للعمل الإنساني مستمد من الدين، يعتبر رغم ذلك تكميليًا ويتمشى مع المبادئ الإنسانية. وسيتم هذا من خلال عرض عمل منظمة الإغاثة الإسلامية على نهج إسلامي للتنمية الإنسانية باستخدام مقاصد الشريعة أي أهدافها أو أغراضها.

25 على سبيل المثال، يشير تدريب موظفي الإغاثة الإسلامية إلى أن المنظمة تلتزم بقواعد السلوك من أجل الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر والمنظمات غير الحكومية أثناء الإغاثة في حالات الكوارث وترتكز على مبادئ الإنسانية وعدم التحيز والحياد والاستقلال واحترام الثقافة والتقاليد والعمل المنسق وبناء القدرات والالتزام «بعدم الضرر» والتركيز على الاستضعاف في تدريب الطواقم الجديدة المعنية بالاستجابة في حالات الطوارئ.
26 تم هذا بشكل خاص من خلال مؤتمرات تدعو إلى مشاركة خبراء قانونيين إسلاميين، على سبيل المثال مؤتمر نظمته اللجنة الدولية للصليب الأحمر والجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد في 2005

www.redcross.int/EN/mag/magazine2005_1/24-25.html

وندوة نظمت بالتعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر اليمني وجامعة عدن بشأن حماية ضحايا الحرب بموجب الشريعة الإسلامية والقانون الدولي الإنساني

(www.icrc.org/eng/resources/documents/feature/2006/islamic-law-ihl-feature-010606.htm)

ومؤتمر دولي حول العمل الإنساني في ضوء الشريعة والقانون الدولي الإنساني عقد في باكستان في 2014
(www.icrc.org/en/document/pakistan-conference-humanitarian-action-light-sharia-and-international-humanitarian-law).

انظر أيضًا مقال عبد الفتاح سعيد محمد و«رونالد أوفترينغر» في هذا العدد من المجلة الدولية.
27 انظر:

<http://insct.syr.edu/projects/security-in-the-middle-east-islam/islamihl/>.

28 Felix Schwendimann, "The Legal Framework of Humanitarian Access in Armed Conflict", No. 884, December 2011, available at:

www.icrc.org/eng/assets/files/review/2011/irrc-884-schwendimann.pdf.

29 المرجع السابق، الصفحة 997.

المبادئ الإنسانية والمفاهيم الإسلامية

لا يقتصر «عمل الخير» في الإسلام على نقل المواد أو الموارد، بل يشمل أي فعل من أفعال المعروف أو الاهتمام بالكائنات الحية. ويستشهد المسلمون كثيراً بتعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم،³⁰ التي قال فيها إن تسمك في وجه أخيك «صدقة»، وهناك إرشادات أخرى حول تنوع عمل الخير حتى أنه يشمل إمطة الأذى من طريق الناس أو الاستماع إلى شكوى من يعانون،³¹ فالطبيعة الأساسية لعمل الخير تتعلق بالصلة بالله³² من خلال علاقاتنا ببعضنا البعض. فالعمل الإنساني بالنسبة للمسلمين يُفهم على أنه يرتبط بعمل الخير وبالتالي يُستوعب في إطار هذا المفهوم الأوسع.³³ ولهذا الفهم نتائج عملية مع ظهور الجهات المانحة «غير التقليدية»، بما في ذلك من العالم الإسلامي والتي يشمل مفهوم المساعدة بالنسبة لها جميع أشكال المساعدة المقدمة إلى الأشخاص المحتاجين، ويشمل هذا الأعمال الخيرية الدينية مثل بناء المؤسسات الدينية والتبرعات النقدية مع تركيز أقل محتمل على متابعة تأثير الأموال المقدمة.³⁴

وانطلاقاً من هذا الإقرار بأن ما يمثل عملاً إنسانياً يعتبر نوعاً ما أوسع في مناقشة تتعلق بتقاطعها مع المبادئ والشريعة الإسلامية، يتناول القسم التالي المبادئ الإنسانية بصيغتها الواردة في قواعد السلوك من أجل الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر والمنظمات غير الحكومية أثناء الإغاثة في حالات الكوارث (قواعد السلوك لعام 1994)³⁵ ويقدم في كل حالة استعراضاً للمفاهيم والنهج المطابقة من التراث الإسلامي والمستمدة من البحوث التي

30 يكرم المسلمون جميع أنبياء الله بهذه العبارة عندما يذكر اسم أحدهم.

31 وردت هذه الأقوال في كتب الأحاديث النبوية للبخاري ومسلم (انظر الحاشية رقم 59 أدناه).

32 كلمة «الله» "Allah" مترجمة من الكلمة العربية المستخدمة للإشارة إلى كلمة God في اللغة الإنجليزية. ويشير المسلمون في أغلب الأحوال إلى God بكلمة «الله» حتى عندما يتحدثون لغات أخرى غير العربية.

33 Mamoun Abuarqub and Isabel Phillips, *A Brief History of Humanitarianism in the Muslim world*, Islamic Relief Worldwide, 2009, available at:

<https://islamic-relief.me/about-us/publications/>

34 Andrea Binder and Claudia Meier, "Opportunity Knocks: Why Non-Western Donors Enter Humanitarianism and How to Make the Best of It", *International Review of the Red Cross*, Vol. 93, No. 884, 2011, p. 1137, available at

www.icrc.org/eng/resources/documents/article/review-2011/irrc-884-binder-meier.htm.

35 قواعد السلوك لعام 1994 متاحة على الرابط التالي:

www.ifrc.org/en/publications-and-reports/code-of-conduct/.

تقتبس النسخة الإنجليزية من المقال الحالي من النص الإنجليزي المتاح بالكامل على الرابط التالي:

www.ifrc.org/Global/Publications/disasters/code-of-conduct/code-english.pdf.

تجربتها منظمة الإغاثة الإسلامية.³⁶ ويعالج هذا القسم الواجب الإنساني بجانب تعاليم الإسلام حول طبيعة الإنسانية والكرامة البشرية ويناقش مبادئ عدم التحيز والاستقلال والحياد وما يقابلها في الشريعة والفقه الإسلاميين. ثم يناقش المقال في الختام الالتزام المنصوص عليه في قواعد السلوك لعام 1994 ببناء القدرات المحلية³⁷ وكيف يُستكمل هذا الالتزام بالإرشادات المقدمة إلى المسلمين حول أهمية تنمية الاعتماد على الذات لدى الفقراء.

الواجب الإنساني

إن الحق في الحصول على المساعدة الإنسانية وفي تقديمها هو مبدأ إنساني أساسي ينبغي أن يتمتع به مواطنو البلدان كلها. ودافعنا الأول في مواجهة الكوارث هو التخفيف من المعاناة البشرية لدى الفئات الأقل قدرة على تحمل الشدة الناجمة عن الكوارث. وعندما نقدم المعونة الإنسانية فإننا لا نشايع جهة ما ولا نقوم بعمل سياسي، وينبغي ألا يُنظر إلى عملنا بهذه النظرة.³⁸

يوفر الواجب الإنساني الأساس للمبادئ الإنسانية ككل باعتباره موضوع المادة الأولى من قواعد السلوك لعام 1994. ويعد مبدأ الإنسانية ومفهوم الكرامة الإنسانية، الأساس الذي يقوم عليه هذا الواجب الذي يؤكد على حق المحتاجين في تلقي المساعدة الإنسانية وأن القادرين على تقديم المساعدة لهم الحق في تقديمها.³⁹ وإن الطبيعة الإلزامية (حقوق المحتاجين) والطوعية (الحق في تقديم المساعدة) للمساعدة الإنسانية تجد نظيرها الإسلامي في فئتين من العطاء الخيري للمسلمين- العمل الخيري الإلزامي المتمثل في الزكاة، الركن الثالث من أركان الإسلام،⁴⁰ والعمل الخيري الطوعي المتمثل في الصدقة. ففي حالة الزكاة، يلتزم كل مسلم بتقديم نصيب معلوم من ثروته أو ممتلكاته إلى المحتاجين كل عام بشرط أن تتعدى الثروة

36 المؤلف مدينة لجهد زميلها في منظمة الإغاثة الإسلامية Dr. Muhtari Aminu-Kano وAtallah Fitzgibbon لكتابتهما حول التنمية البشرية في الإسلام المنشورة على الإنترنت تحت عنوان:

An Islamic Perspective on Human Development, Islamic Relief Worldwide, Birmingham, 2014, available at: <http://policy.islamic-relief.com/wp-content/uploads/2014/07/Human-Development-in-Islam.pdf>.

ويقتبس هذا القسم أيضًا من عمل المؤلف الخاص بعنوان:

Lucy V. Moore, *Working in Conflict: A Faith Based Toolkit for Islamic Relief*, Islamic Relief Worldwide, Birmingham, 2014,

متاح على الرابط التالي:

<http://policy.islamic-relief.com/portfolio/working-in-conflict-a-faith-based-toolkit>

خاصة الكتابات المنشورة تحت القسم الأول (Policy).

37 قواعد السلوك لعام 1994، الحاشية السابقة رقم 35، المواد (6) و(7) و(8)، الصفحة 4.

38 المرجع السابق، المادة (1).

39 المرجع السابق. نالت الكرامة الإنسانية وعلاقتها بالعمل الإنساني مناقشة واضحة بشكل أساسي في الميثاق الإنساني لمشروع اسفير، متاح على الرابط التالي:

www.sphereproject.org

إلا أن هذا المبدأ يستند إلى «الحق في الحياة» المنصوص عليه في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، على النحو الوارد في السطور الأولى من الوثيقة: «لما كان الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم». الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الديباجة، متاح على الرابط التالي:

<http://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html>

40 أركان (فرائض) الإسلام الخمسة هي الشهادة (إعلان الإيمان) والصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج.

نصاباً معيناً، بالإضافة إلى مبلغ محدد يدفع في نهاية شهر رمضان فيما يعرف بـ *زكاة الفطر*. والصدقة عطاء خيري يمكن أن يقدم في أي وقت وبأي مبلغ وهي ممارسة يشجعها الإسلام. ويعتبر الإحسان، الإلزامي والطوعي، أكثر من مجرد «عمل من أعمال الخير»، بل هو عمل موجه نحو العدالة الاجتماعية ويهدف إلى ضبط كفة عدم المساواة الاجتماعية.⁴¹

وتقع الكرامة التي أنعم الله بها على جميع البشر في محور التعاليم الإسلامية حول طبيعة الإنسانية، فالقرآن يقول «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»،⁴² وإن الله نفخ في آدم من روحه عندما خلق البشر⁴³ وتعتبر هذه الصلة بالله ومن ثم الكرامة البشرية سمة فطرية من سمات الجنس البشري. ويجمع الفقهاء على المساواة بين جميع البشر في الكرامة ووجوب الاحترام وبالتالي فمن حق الجميع العيش في حياة جديرة بالكرامة والاحترام فقط بحكم كونهم بشراً.⁴⁴

ويشغل التوحيد مكان الصدارة في التقاليد الإسلامية حيث يشير إلى وحدانية الله وتفردته. والإسلام دين توحيد ويؤمن المسلمون أن الله واحد وهو خالق كل شيء؛ وبالتالي فإن أول أركان الإسلام الخمسة أن ينطق المسلم بالشهادة «لا إله إلا الله». ومن ثم فإن الخلق جميعهم كيان موحد على أساس وحدة مصدره وأصله. وينبثق من هذا الاعتقاد في التوحيد فكرة أن الوحدة يمكن أن نجدها في جميع جوانب الإنسانية- وهذه الفكرة مفادها أن هناك وحدة متأصلة في مصادر الوحي المتنوعة التي يرسلها الله، وحدة البشرية ووحدة المخلوقات وفي النهاية وحدة الوجود كله. وتعد الوحدة في الإسلام من الركائز المحددة لعلاقة البشر بالله وعلاقة الفرد بنفسه وعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسانية بالمخلوقات الأخرى.

ويشمل التوحيد كذلك التكامل والطبيعة المترابطة للبشرية المتنوعة التي خلقها إله واحد:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»⁴⁵

ومن خلال التوحيد، يوفق الإسلام ويربط مسألة وحدانية الله والخلق بتنوع ذلك الخلق. فالبشر والكون وإن كانوا متنوعين بالفطرة، فإنهم مترابطون من خلال خلق الله لهم وعلاقتهم بالله. وتتأكد الكرامة البشرية الفطرية كذلك من خلال مفهوم الفطرة وهي تقديس الحياة البشرية التي تعترف بالخيرية الأساسية للبشر كافة عند الميلاد: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ».⁴⁶ وبسبب هذه الفطرة، فإن حياة البشر كلهم مقدسة ويجب حماية كرامتهم:

41 انظر أيضاً:

Ajaz Ahmed Khan, Ismayil Tahmazov and Mamoun Abuarqub, *Translating Faith into Development*, Islamic Relief Worldwide, Birmingham, 2009,

متاح على الرابط التالي:

<http://policy.islamic-relief.com/wp-content/uploads/2014/05/Translating-Faith-Into-Development.pdf>.

42 القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية 70. جميع ترجمات الآيات القرآنية الواردة بالنسخة الإنجليزية من هذا المقال مقتبسة من:

The Qur'an: A New Translation by M. A. S. Abdel Haleem, Oxford University Press, Oxford, 2005.

43 «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»، القرآن الكريم، سورة ص، الآية 71 و72.

44 Mohammed Hashim Kamali, *The Dignity of Man*, Islamic Texts Society, Cambridge, 2002.

45 القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13. انظر أيضاً: سورة المائدة، الآية 48؛ وسورة يونس، الآية 19.

46 القرآن الكريم، سورة التين، الآية 4. انظر أيضاً: سورة البقرة، الآية 34؛ وسورة الإسراء، الآية 70.

«مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»⁴⁷.

واستناداً على الوحي القرآني الذي يقول إن الإنسان خلق «في أحسن تقويم» ووجود النفخة الإلهية في تكوين البشرية، يشير مفهوم الطبيعة الإنسانية في الإسلام إلى أن البشر خيرون في الأساس، لكننا نظهر سمات سلبية مثل الكبر أو الطمع أو عدم تقدير الآخرين.⁴⁸ ويُنظر إلى هذه السمات على أنها انحرافات عن طبيعتنا الأساسية ومؤشر على أن البشر قادرين على تغيير سلوكهم: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ»⁴⁹.

عدم التحيز والاستقلال والحياد

من التوجيهات المدمجة في قواعد السلوك لعام 1994 أن الوكالات الإنسانية غير الحكومية يجب أن تتصرف بحياد وعدم تحيز. وعدم التحيز مدمج في أحكام شتى، حيث تنص القواعد على سبيل المثال على أن «عندما نقدم المعونة الإنسانية فإننا لا نشايع جهة ما ولا نقوم بعمل سياسي، وينبغي ألا يُنظر إلى عملنا بهذه النظرة» وذلك في المادة (1)⁵⁰ وعلى «عدم استخدام المعونة لدعم موقف سياسي أو ديني معين» وذلك في المادة (3).⁵¹ والاستقلال منصوص عليه صراحة في المادة (4): «لن نسخر كأدوات لسياسة الحكومة الخارجية. الوكالات الإنسانية غير الحكومية هي وكالات تعمل في استقلال عن الحكومات... ومن أجل حماية استقلالنا سنسعى إلى تجنب التبعية لمصدر تمويل واحد».⁵² وعلى الرغم من أن الحياد غير موثق توثيقاً مباشراً في قواعد السلوك لعام 1949، فهو معترف به كمبدأ إضافي للمساعدة الإنسانية على النحو الوارد في الملحق الخاص بالمبادئ التوجيهية في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 182/46.⁵³ وقد اعتمدت المنظمات غير الحكومية بدورها الالتزام بالحياد كمبدأ للعمل الإنساني، على الرغم من أن هذا القرار لا يخلو من التعقيدات.⁵⁴

ومن القراءات الشهيرة أن تعاليم الإسلام تدعو إلى معاملة غير المسلمين معاملة غير عادلة وقد تتعقد هذه المسألة عندما تضاف إلى الخوف من اتجاه المنظمات الدينية إلى

47 القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 32.

48 انظر سورة إبراهيم، الآية 34؛ وسورة الإسراء، الآية 17؛ وسورة الكهف، الآية 54؛ وسورة الحج، الآية 66؛ وسورة الأحزاب، الآية 72؛ وسورة الزخرف، الآية 15؛ وسورة العنكبوت، الآية 6. للتليل، انظر:

S. Ayse Kadayifci-Orellana, Mohammed Abu-Nimer and Amjad Mohamed-Salem, *Understanding an Islamic Framework for Peacebuilding*, Islamic Relief Worldwide, Birmingham, 2013, pp.9–11, available at:

<http://policy.islamic-relief.com/portfolio/understanding-an-islamic-framework-for-peacebuilding/>

49 القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11.

50 قواعد السلوك لعام 1994، الحاشية رقم 35 أعلاه، الصفحة 3.

51 المرجع السابق.

52 المرجع السابق، الصفحتان 3-4.

53 انظر:

http://www.un.org/arabic/documents/GARes/46/A_RES_46_182.pdf

54 للاطلاع على مناقشة مفيدة حول الحياد في المساعدة الإنسانية (بالتكيز بشكل رئيسي على اللجنة الدولية)، انظر:

Denise Plattner, "ICRC Neutrality and Neutrality in Humanitarian Assistance", *International Review of the Red Cross*, No. 311, 1996,

متاح على الرابط التالي:

www.icrc.org/eng/resources/documents/misc/57jn2z.htm

سيناقش هذا الموضوع بمزيد من التفصيل في الأجزاء التالية.

التصرف بشكل متحيز تجاه من يعتقدون الدين ذاته. وعلى الرغم من أن الإسلام، شأنه شأن الديانات الأخرى، يدعو إلى الترابط بين مجتمع المؤمنين به، فإن الأدلة المستمدة من المصادر الأساسية للإسلام ومن ممارسات المجتمعات المسلمة لا تؤيد هذه القراءة. أجرى محمد هاشم كمالى⁵⁵ تحليلاً لهذه المسألة وتوصل إلى أن ثلاث آيات قرآنية⁵⁶ فقط هي التي يمكن تفسيرها على أنها تؤيد المعاملة غير العادلة لغير المسلمين، ولا يمكن العثور إلا على أمثلة محدودة على هذا التمييز في تاريخ⁵⁷ زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في حين يمكن اقتباس الكثير من الفقرات في القرآن⁵⁸ والأحاديث العديدة⁵⁹ التي تعزز المساواة مع غير المسلمين.

وتظهر هذه المسألة في أوضح صورها في القطاع الإنساني في الأسئلة المطروحة حول من هي الفئات المؤهلة للاستفادة من مدفوعات الزكاة المفروضة. ولا تنص التوجيهات المستمدة من القرآن ذاته على أن من يتلقى الزكاة يجب أن يكون مسلماً:

«إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ⁶⁰ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ⁶¹»

وبناء على ذلك، فإن قواعد السلوك لعام 1949 التي تحت المنظمات على ألا «تُسَخَّر كأدوات لسياسة الحكومة الخارجية» وضمان «عدم استخدام المعونة لدعم موقف سياسي أو ديني معين»،⁶² يتناسب مع التوجيهات الصادرة للمسلمين بأن يعطوا أولاً إلى الفقراء والمحتاجين⁶³ وليس بناء على ما تمليه اعتبارات سياسية أو أخرى. ويتسع هذا الفهم في حالات الصدقة حيث يمكن أداؤها لأي شخص يختاره المتصدق دون قيد وتشمل كذلك أفعال

Muhammad Hashim Kamali, *Freedom, Equality and Justice in Islam*, Islamic Texts Society, 55 Cambridge, 2002

- 56 سورة آل عمران، الآية 110؛ وسورة التوبة، الآية 21؛ وسورة المائدة، الآية 51.
57 يشير المسلمون إلى هذا التاريخ تحديداً باسم السنة وهو مصدر من مصادر الشريعة والشعائر الإسلامية، خاصة للمسلمين السنة.
58 سورة الفقرة، الآية 62؛ وسورة المائدة، الآية 5؛ وسورة الممتحنة، الآية 8؛ وعدة أحاديث نبوية.
59 الحديث (والجمع: أحاديث) هي السنن المجموعة التي تضم أقوال النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وتشكل مصدراً رئيسياً لتوجيه أغلب المسلمين.
60 سيلاحظ القارئ المجموعة الواسعة والمتنوعة من الأنشطة الواردة في هذه الآية والتي تستبعد عادة من العمل الإنساني. سيقاشر هذا الموضوع بمزيد من التفصيل في الأجزاء التالية.
61 سورة التوبة، الآية 60.
62 قواعد السلوك لعام 1994، الحاشية رقم 35 أعلاه، المادة (3).
63 لمزيد من المعلومات حول الزكاة والصدقة والإسلام والعمل الإنساني، انظر:

Mamoun Abuarqub, *Faith Identity in Practice*, Islamic Relief Worldwide, Birmingham, 2010, متاح على الرابط التالي:

<http://policy.islamic-relief.com/portfolio/faith-and-identity-in-practice>

وانظر: Rianne C. ten Veen, *Charitable Giving in Islam*, Islamic Relief Worldwide, Birmingham, 2009، متاح على الرابط التالي:

<http://policy.islamic-relief.com/portfolio/charitable-giving-in-islam>

وانظر:

Mamoun Abuarqub and Isabel Phillips, *A Brief History of Humanitarianism in the Muslim World*, Islamic Relief Worldwide, Birmingham, 2009,

متاح على الرابط التالي:

<http://policy.islamicrelief.com/portfolio/a-brief-history-of-humanitarianism-in-the-muslim-world>

وانظر: جمال كرافس، «تأثير الدين الإسلامي على المساعدات الإنسانية، المجلة الدولية للصليب الأحمر، المجلد 87، العدد 858، 2005، متاح على الرابط التالي:

<https://www.icrc.org/ar/international-review/article/influence-muslim-religion-humanitarian-aid>

المعروف (مثل التبسم أو الاستماع للغير) مما لا تنطبق في الزكاة.

بالإضافة إلى ذلك، يتضمن الفقه الإسلامي القديم تقاليد قوية من ممارسة الحياد لأغراض الوساطة. لا يهدف هذا المقال إلى الإشارة إلى سوابق الحياد وتاريخه في الشريعة وأصول الدين الإسلامي، ولكن يمكن أن يتوصل إلى صور التعبير عنه: فهو موجود تاريخيًا في الطبيعة غير المتحيزة للنظام القضائي بشكله الذي قام في زمن الإسلام الأول،⁶⁴ وفي النزاع المسلح يعتبر الحياد مكافئًا للأمان المكفول لرسول الدول (الأجنبية) بل لأي عدو يطلب الجوار.⁶⁵ وهناك أيضًا تقاليد قوية موجودة في أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأوائل من اعتنقوا الإسلام تشير إلى الموقف «المحايد» لبعض الأطراف في النزاع التي يجب حمايتها:

«لا تقتلوا صبيًا ولا امرأة ولا شيخًا كبيرًا ولا مريضًا ولا راهبًا ولا تقطعوا ثمرًا ولا تحربوا عامرًا ولا تذبحوا بغيرًا ولا بقره إلا لمأكل ولا تُغرقوا نحلاً ولا تحرقوه».⁶⁶

بناء القدرات المحلية

على الرغم من تشجيع الجود والعطاء الخيري بصورة فعالة كفرض على المسلمين، فلا يكون هذا على حساب تطوير قدرة الناس على الصمود أمام الفقر والكارث. ويستند هذا إلى حديث مفصل رواه أبو داود يصف رجلاً فقيرًا يقدم على النبي محمد صلى الله عليه وسلم يسأله عطاءً. وتبين الرواية بالتفصيل كيف ساعد النبي الرجل، بدلًا من إعطائه مالًا، على بيع أشياءه البسيطة وساعده بذلك المال في شراء فأس، ما أتاح للرجل كف نفسه من خلال بيع الحطب.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مُدقع أو لذي غم مُفطع أو دم مُوجع».⁶⁷

يرى فقهاء الشافعية والحنابلة أن الزكاة يجب ألا تدفع لشخص قوي وقادر على العمل والحصول على دخل يلبي احتياجاته إلا إذا كان غير قادر على إيجاد عمل مناسب.⁶⁸

على الرغم من عدم النص صراحة على هذا المبدأ ضمن المبادئ الإنسانية، هناك التزام في قواعد السلوك لعام 1994 بالاعتماد على القدرات الموجودة بدلًا من استبعادها:

64 Ata ur Rehman, Dr. Mazlan Ibrahim and Dr. Ibrahim Abu Bakar, "The Concept of Independence of Judiciary in Islam", *International Journal of Business and Social Science*, Vol. 4, No. 2, 2013, available at: http://ijbssnet.com/journals/Vol_4_No_2_February_2013/8.pdf.

65 القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 6.
66 أبو عبد الله محمد، «المغازي»، المجلد الثاني، بيروت، المؤسسة العالمية للمطبوعات، 1898/1490، الصفحتان 757-758؛ أحمد بن زيني دحلان، «السيرة النبوية»، الطبعة الأولى، المجلد الثاني، حلب، دار القلم العربي، 1997/1417، الصفحة 236؛ انظر أيضًا: Dr. Muhammed Munir, "The Prophet (Peace Be Upon Him)'s Merciful Reforms in the Conduct of War: The Prohibited Acts", *Insights, Sirah Special Issue*, Vol. 2, No. 2-3, 2009-2010, p. 235, emphasis added.

67 حديث رواه أبو داود، الكتاب التاسع، الحديث 1637.
68 من بحث أجراه Sadia Kidwai لسياسة منظمة الإغاثة الإسلامية حول الزكاة، 2014 (وثائق داخلية).

«يملك الناس والمجتمعات المحلية قاطبة- حتى في حالات الكوارث- قدرات ولديهم مواطن ضعف، وسنقوم ما أمكننا بتعزيز هذه القدرات عن طريق استخدام موظفين محليين، وشراء أدوات محلية والتجارة مع شركات محلية».69 وتلتزم المنظمات غير الحكومية كذلك بأن «تعتبر نفسها مسؤولة تجاه أولئك الذين يرغبون في تقديم المساعدة وأولئك الذين يحتاجون إليها».70 وبالنسبة للمسلمين، تأتي مسؤولية الشخص عن أفعاله في المقام الأول من الله العليم بكل ما نعمل: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ».71 وكذلك يشير القرآن صراحة إلى أن الناس مسؤولون كأفراد عن أفعالهم: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهُ وَهُمُ لَا يُظْلَمُونَ».72 وبالنسبة لمنظمات مثل الإغاثة الإسلامية، يجتمع هذا عادة بمبادئ مثل الإحسان والإخلاص لتوفير الأساس الديني لنهج يركز على المستفيدين ويقوم على أساس المسؤولية أمام من يقدمون المساعدة.73

توترات وشواغل أخلاقية

الأساس النظري للعلاقة بين المبادئ الإنسانية والإسلامية أساس سليم ويبدو للوهلة الأولى خاليًا من المشكلات بصورة نسبية. ولكن كما هو الحال مع جميع «النهج» العالمية، فإن الصلات وإن كان من السهل تكوينها في المبادئ العامة (العدالة والسلام وعدم التحيز)، فإن التوترات قد تنشأ حول كيفية تطبيق هذه التفاصيل تطبيقًا عمليًا. ففصل الدين عن الأنشطة الإنسانية أو الخيرية هو فكرة غير واقعية للغاية بالنسبة لأغلب المجتمعات المسلمة إذ أن إنزال الدين إلى مرتبة المجال الخاص ليس مفهومًا عاديًا بالنسبة لأغلب المسلمين.

وخارج نطاق البيئات التي تطور فيها العمل الإنساني المهني- وأغلبها في سياقات أوروبية أو شمال أمريكية- يفسر هذا التمييز على أن استجابة لاحتياجات الهوية المهنية، وليس استجابة لواقع تلك المنظمات التي تعمل مع المجتمعات المحلية والتي تعرف في أغلب الأحوال بالالتزام بالدين أو طائفة معينة. قدم البحث الذي أجرته «إيلينا فيديان-قاسمية» أدلة إضافية على أن فصل الهوية الدينية ووحى العقيدة عن العمل الإنساني على المستوى المحلي هي بالأحرى مسألة «أداء» أكثر منها واقعًا،74 وتتم بغرض توصيل واقع المنظمات الدينية إلى المنظمات غير الحكومية الدولية العلمانية وفي الوقت ذاته الالتزام بفكرة الجهات المانحة أن المبادئ الإنسانية لا تتوافق مع هوية دينية علنية. ويهدف هذا إلى المساعدة في الحفاظ على المساعدة المقدمة من مصادر «علمانية»؛ ففي هذا الصدد يعكس مسار العلاقة، ويقال

69 قواعد السلوك لعام 1994، الحاشية رقم 35 أعلاه، المادة (6).

70 المرجع السابق، المادة (9).

71 القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 91.

72 القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية 160.

73 Atallah Fitzgibbon, *The Importance of Spiritual Capital within Human Development in Islamic Teaching-Islamic Relief Worldwide*, Birmingham, 2012, available at

<http://policy.islamic-relief.com/portfolio/the-importance-of-spiritual-capital-within-human-development-in-islamic-teaching/>; *Faith Inspired Action: Global Strategy 2011–2015*, Islamic Relief Worldwide, Birmingham, 2011, available at:

http://policy.islamic-relief.com/downloads/31-FAITH_INSPIRED_ACTIO.pdf

74 Elena Fiddian-Qasmiyeh, "The Pragmatics of Performance: Putting 'Faith' in Aid in the Sahrawi Refugee Camps", *Journal of Refugee Studies*, Vol. 24, No. 3, 2011

إن الجهات الدينية بدورها «تستغل» الحوار الإنساني للحصول على الموارد وتحقيق إمكانية الوصول.

التبشير

من أجل ضمان تقديم المساعدة حسب الحاجة، تنص قواعد السلوك لعام 1994 على ما يلي:

نحن نؤكد، دون المساس بحق الوكالات الإنسانية غير الحكومية بمناصرة آراء سياسية أو دينية بعينها، أن تقديم المساعدة يجب أن يكون مستقلاً عن مشاطرة متلقيها لتلك الآراء. ولن نقيد الوعد بتقديم المساعدة أو تسليمها أو توزيعها باعتناق آراء سياسية أو عقائد دينية معينة أو قبولها.⁷⁵

يرتبط هذا في الظاهر بقيود منصوص عليها في القرآن بالنسبة للمسلمين ترتبط بالتبشير - «لا إكراه في الدين»⁷⁶ غير أن الدعوة بالنسبة للمسلمين لغيرهم لدخول الإسلام ربما كانت مفهومًا أوسع من المفهوم المستخدم في سياق المبادئ الإنسانية. وقد يكون الهدف بالنسبة للمسلمين في أغلب الأحوال هو الإبلاغ وليس اعتناق الدين، والاعتناق لا يتوقع بالضرورة أو يطلب طلبًا صريحًا. بالإضافة إلى ذلك، فإن الانخراط في الدعوة لا يكون صريحًا بالضرورة، فكثير من المسلمين يرون أن التصرفات الإيجابية من جانب المسلمين يمكن أن يكون لها مردود أقوى بالنسبة للإيمان من الكلمات، وبالتالي فإن التصرف بالمعروف أو مساعدة الآخرين يمكن أن يفسر على أنه طريقة لدعوة الناس إلى الإسلام. ويمكن أن يظهر هذا في إدراج ضمن تعريف المستفيدين الشرعيين من الزكاة:

«إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»⁷⁷

ويخضع تفسير «المؤلفة قلوبهم» و«وفي سبيل الله» في السياق الحديث لتحليل وآراء دينية أوسع، ولكن الدلالة هنا أن الزكاة يمكن إنفاقها بطرق أوسع بكثير من تلك التي يتصورها المجتمع الإنساني الحديث ويمكن اعتبار أنها تشكل أنشطة دينية صريحة لبعض الجهات غير التقليدية التي تقدم المساعدات.⁷⁸ ومن منظور المؤسسات الدينية المنخرطة في العمل الإنساني، يمكن أن تشعر الجوانب الروحية والروحية لأي مساعدة تكون مقيدة أو غير مرحب بها بمجرد حصولها على أموال من الجهات المقدمة للمساعدة وهذا يضر بمصلحة الفئات التي تتلقى تلك المساعدة.

ولا يعني هذا أنه لا توجد مخاطر على عدم التحيز تفرضها الدعوة في السياق الإنساني، ولكن بالأحرى نقول إن التبشير، شأنه شأن جميع مناحي الحياة الروحية، يأخذ أشكالًا متعددة. فالحياة الروحية، التي لا تعترف بها مؤسسات الإغاثة في كثير من الأحيان، تمثل أولوية لكثير من المجتمعات المتضررة من العنف، ربما في حالات النزوح على وجه الخصوص. والمنظمات الإنسانية الدينية، بما في ذلك الإغاثة الإسلامية، تلتزم بسياسات

75 قواعد السلوك لعام 1994، الحاشية رقم 35 أعلاه، المادة (3).

76 القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 256.

77 القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 60، إضافة تأكيد.

78 Interview with Dr. Hany el-Banna، الحاشية رقم 19 أعلاه.

لا لبناء مبان دينية على وجه التحديد من خلال احترام المبادئ الإنسانية والتزام الحساسية إزاء النتائج التي قد تلحق بموقفهم من عدم التحيز. إلا أن المنظمات الدينية الإسلامية تتلقى كثيرًا طلبات للمساعدة في بناء المساجد والمدارس الدينية، ويرجع بعض السبب في هذا إلى أن هويتها الدينية تجعل الناس يشعرون أن هذه الطلبات ستكون مفهومة. وإن الاستجابة لاحتياجات المجتمعات النازحة بشكل خاص والإقرار أن إتاحة مساحة للعبادة والتعليم الديني يعد حاجة أساسية وأولية لقاطني المخيمات أنفسهم يستلزم إعادة تفسير لهذا القيد، ما أدى إلى توفير مساحات مؤقتة لاستخدامها للأغراض الدينية والروحية بشكل عادل لجميع المجتمعات (المسلمة وغير المسلمة على حد سواء). وتتمثل الرسالة المعلنة للإغاثة الإسلامية في تخفيف الفقر على أساس الاحتياجات وتتمثل سياستها في عدم توفير الأماكن إلا في حالة إمكانية الوصول إليها بشكل عادل من جميع أفراد المجتمع، وهو الوضع المنطبق بشكل خاص على مخيمات اللاجئين، على سبيل المثال، على الحدود المصرية مع ليبيا، حيث وفر أحد المخيمات التي تديرها منظمة الإغاثة الإسلامية مساحة للمسيحيين والمسلمين للعبادة معًا. وفي مثال آخر، في مخيم ليان بالراند بالبقاع في لبنان، جُهر مبنى مشترك في المخيم الصغير، ولكن اختار سكان المخيم استخدامه كمسجد على اعتبار أنهم مجتمع صغير من المسلمين.

إن إنزال الدين إلى مرتبة «الثقافة» من جانب قطاعات من مجتمع المساعدة الدولي كانت له تبعات متوقعة في أنه قوض إمكانية فهم الدور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للدين والمجتمعات الدينية في حالات أزمة الهجرة القسرية وكيف يمكن لهذا أن يكون له تأثير إيجابي على تصميم الاستجابة. ومن الأمثلة المطروحة من هذا القبيل إدراج الدين في تقرير الكوارث في العالم لعام 2014 الذي يناقش الدين بصورة صريحة لم يسبق لها مثيل في الفصل الثاني الذي يحمل عنوان «تأثير الأديان والمعتقدات في السلوك إزاء المخاطر».⁷⁹ وعلى الرغم من أن هذا قد يكون أكثر المنتديات ملائمة لمناقشة الدين بالنسبة للمنظمات الدولية، فإن طريقة مناقشته يولي اهتمامًا أقل بالجوانب الإيجابية للدين في هذه السياقات⁸⁰ ولا يعترف التقرير بأن الجهات الدينية قد ترى فروقًا قوية بين «الدين» و«العقيدة» و«الثقافة». ويتمثل محور انشغال المؤسسات الإنسانية في الصعوبة المحتملة لفصل الدور الإنساني للمنظمات الدينية عن دورها الرعوي. ولكن القيام بهذا يحتمل أن يؤدي إلى منع الوصول إلى الخدمات الرعوية المهمة مثل طمأنة المرضى والمصابين بصدمات نفسية والتكلى.⁸¹

المعتقدات والسياسة

قد يتسبب الالتزام الصارم بالمبادئ الإنسانية أيضًا في توترات بين المنظمات الدينية والمجتمعات التي تستمد منها أفرادها. وتأخذ هذه التوترات صورة أوضح عندما يُعبر عن

79 الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر، تقرير الكوارث في العام 2014: التركيز على الثقافة والمخاطر، جنيف، 2014، الصفحات 37-64.

<http://www.ifrc.org/ar/publications-and-reports/world-disasters-report/world-disasters-report-2014>

80 «أبرز سمات المعتقدات في سياق الحد من مخاطر الكوارث هي عرققتها لجهود الحد من الخطر (شيء يجعل الناس تفكر أو تقوم باتخاذ تعارض الحد من الخطر أو تؤدي إلى زيادة استضعافهم)»، المرجع السابق، الصفحة 37.

81 Sadia Kidwai, Lucy V. Moore and Atallah Fitzgibbon, "The Role of Religion in the Formation of Cross-Community Relationships", *Forced Migration Review*, No. 48, November 2014, available at:

www.fmreview.org/faith/kidwai-moore-fitzgibbon#sthash.crTIlkHs.dpuf

شواغل بأن منظمة «إسلامية» تقدم مساعدات لغير المسلمين،⁸² ويعبر عنها كذلك في توقعات المتبرعين الأفراد بشأن كيفية توزيع الزكاة. ويرى كثير من العلماء أن الزكاة كانت في الماضي توزع على المسلمين على أن تلبى احتياجات غير المسلمين من أموال الصدقة وغير ذلك. ولكن هناك بالمثل علماء يقدمون إرشادات مفادها أن الزكاة يمكن أن تُنقذ على تقديم المساعدات إلى بلدان وأشخاص ومنظمات وقيائل غير مسلمة من الفقراء والمساكين.⁸³ ولا يشترط القرآن أن يكون الفقراء والمساكين من المسلمين، ولنا في الخليفة عمر بن الخطاب مثال من التاريخ الإسلامي حيث قرر أن سائلاً يهودياً من المستحقين الشرعيين للزكاة.⁸⁴

وعلى الرغم من وجود أدلة تعضد كلتا الإجابتين على هذا السؤال، لا يزال هناك اعتقاد في كثير من المجتمعات المسلمة أن الزكاة يقصد بها مساعدة المساكين داخل المجتمع المسلم أو الأمة.⁸⁵ وقد تآخر المنظمات الدينية المسلمة على نحو استراتيجي مصارف إنفاق أموالها ومواردها التي جمعتها من الزكاة بحيث تظل في حدود توقعات المتبرعين، غير أن هذا يتعارض مع المبدأ الإنساني لعدم التحيز وعدم التمييز. فمن يتبرعون بزكاتهم إلى منظمة دينية إسلامية قد يفعلون هذا بافتراض أن الأموال لن توزع إلا على المحتاجين من المسلمين، وإذا لم يتحقق هذا، فقد يشعرون أن المنظمة الدينية قد أهملت في واجبها نحو توزيع الزكاة في المصارف المحددة في الشريعة الإسلامية.

ولنتناول نتائج الالتزام الصارم بالمبادئ الإنسانية تناولاً أوسع، يقال إن هذا التوتر قد يحدث عند تقديم التبرعات المرتبطة بالاحتفال بشهر رمضان وعيد الأضحى.⁸⁶ فهاتان المناسبتان خاصتان بالمجتمعات المسلمة وتجمع المنظمات غير الحكومية الإسلامية الأموال خصيصاً لدعم المجتمعات الفقيرة أثناء هذين الاحتفالين، على سبيل المثال بين المسلمين المهاجرين قسراً. ولهذه الممارسة تعبير مماثل إذا جمعت منظمة غير حكومية مسيحية أموالاً لدعم احتفالات عيد الميلاد أو عيد الفصح. وعلى الرغم من أن هذه الأمثلة لا تحدث توترات بالطريقة ذاتها التي يحدثها التبشير الصحيح، فإنها تسلط الضوء على التوترات المتأصلة التي تواجه المنظمات الدينية عندما تتخرب مع مجتمعات دينية ومعتقدات حول كيفية الالتزام بالمبادئ الإنسانية. في كثير من الحالات، ستتصدى المنظمات بشكل عندي لفكرة التحيز عن طريق تقديم المساعدات لمجتمعات غير مسلمة في الوقت ذاته.

العدل

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ
وَالْأَقْرَبِينَ».⁸⁷

82 وهذا وإن لم يكن سوى جزء صغير مقارنة برسائل الدعم التي وصلت، فليس من غير المألوف أن تنتشر تعليقات على مواقع التواصل الاجتماعي تسأل عن أسباب قيام منظمة خيرية إسلامية بتقديم مساعدات لغير المسلمين في الوقت الذي تتعاطف فيه احتياجات المجتمع المسلم على مستوى العالم.

83 القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية 60.

84 تستند هذه المناقشة للزكاة إلى بحث بقيادة Sadia Kidawi لدعم سياسة الزكاة بمنظمة الإغاثة الإسلامية لعام 2014 والتي تضمنت مشاورات مع مجموعة من اثني عشر عالماً مسلماً. وهي وثيقة داخلية من وثائق منظمة الإغاثة الإسلامية ولكن للاطلاع على استعراض عام تفصيلي لأحكام الفقه الإسلامي حول الزكاة، يمكن للقراء الرجوع إلى: الدكتور يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، دراسة مقارنة، دار النقوى، 1999.

85 لفظ الأمة وصف يستخدمه المسلمون للإشارة إلى مجتمع أتباع الإسلام.

86 يعاد المسلمون في عيد الأضحى ذبح بهيمة. وتحفظ الأسرة بثلث اللحم ويعطى ثلث للأقارب والأصدقاء والجيران وثلث للفقراء والمساكين.

87 القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 135.

تقدم الآية السابقة⁸⁸ من القرآن⁸⁹ نظرة عميقة في التوتر الأساسي الذي يشعر به المسلمون العاملون تحت مظلة المبادئ الإنسانية. فالمبدأ الأول بالنسبة للمسلمين هو العدل، القرآن يذكر القراء مرارًا وتكرارًا أن عليهم النهوض ومعارضة الظلم حتى ولو كلفهم ذلك أنفسهم. ويظهر التوتر بين التوجيهات الإنسانية والمبادئ الإنسانية في أغلب الأحوال في الشواغل المتعلقة بمواقف الحياد واشتراط الحفاظ على عدم التحيز عند مواجهة سيناريوهات النزاع.⁹⁰ وقد عبر حسين أوروک من مؤسسة الإغاثة الإنسانية⁹¹ عن هذا التوتر، في شكله المتصور، في حوار مع اللجنة الدولية. وقال إنه على الرغم من وجود صعوبات في الالتزام بالمبادئ الإنسانية، «هناك بعض الأفكار المختلفة حول الحياد. فما هو الحياد؟ أنا كمسلم، لا يمكن أن أكون محايدًا مع الجميع. كيف لي أن أغلق عيني عندما يقتل القاتلون الأطفال؟»⁹².

هناك في الإسلام مفهوم محوري للوحدة بين المؤمنين أي أن جميع المسلمين مجتمع أو أمة واحدة.⁹³ وبسبب هذا المفهوم، فإن احتمال اتخاذ موقف «محايد» قد تواجهه معوقات؛ فلما كان مجتمع المؤمنين يجب أن يظل متحدًا، فقد يشعر المسلمون بالالتزام بدعم غيرهم من المسلمين من حالة نزاع، ما يؤدي صعوبة التوفيق بين المصطلح الإنجليزي "neutrality" الذي يعني الحياد والقيم الإسلامية. فعلى سبيل المثال، لا توجد باللغة العربية ترجمة مباشرة لمصطلح "neutrality"، والترجمة الأقرب لها هي كلمة «حيادية» التي تعني عدم الانحياز.⁹⁴ إلا أن هذا التقسيم البسيط أكثر تعقيدًا في الواقع، لأسباب ليس أقلها التقسيمات الداخلية بين المجتمعات أو الطوائف المسلمة، وكذلك فإن المفهوم ليس بالضرورة من المفاهيم التي تقدرها أو تستخدمها المجتمعات المسلمة. بالإضافة إلى ذلك، داخل مصطلح الأمة يوجد مصطلح «الأخوة» الذي يعني رعاية الأفراد الآخرين ومساواة أساسية بين الناس.

وهذا يشبه التوترات التي تشعر بها الجهات الأخرى على مستوى القطاع الإنساني حيث يكون من غير الممكن التوفيق بين جميع الأهداف الجيدة في كل سياق، وقد يؤدي الموقف من الحياد بدلًا عن ذلك إلى تفويض قدرة مؤسسة معينة على التصرف وحماية الأرواح.⁹⁵ ليس من غير المألوف لمن يعملون في أي مؤسسة إنسانية أن يشعروا بالإحباط

88 كلمة «آية» Ayah في القرآن تقابل الآية في الكتاب المقدس.

89 انظر أيضًا: سورة النساء، الآية 114؛ وسورة الشورى، الآية 42.

90 تشير هذه الحاشية مرة أخرى إلى الملحق الخاص بالمبادئ التوجيهية الواردة في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 182/46 الذي ينص كمبدأ توجيهي على ما يلي: «ينبغي توفير المساعدة الإنسانية وفقًا للمبادئ الإنسانية والحياد والنزاهة». متاح على الرابط التالي: http://www.un.org/arabic/documents/GARes/46/A_RES_46_182.pdf

91 Insan Hak ve Hürriyetleri ve İnsani Yardım Vakfı Foundation for Human Rights and Freedoms and Humanitarian Relief: تترجم بالإنجليزية إلى Foundation for Human Rights and Freedoms and Humanitarian Relief وهي منظمة غير حكومية تركية أغلب أعضائها من المسلمين الأتراك.

92 المبادئ الإنسانية: وجهات نظر منظمة غير حكومية إسلامية، مقابلة مع Hüseyin Oruç من منظمة الإغاثة الإسلامية، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 4 حزيران/ يونيو 2013، متاح على الرابط التالي:

www.youtube.com/watch?v=ZtPLjHZZUjY.

حول السؤال الخاص بما إذا كان العمل الإنساني مسموحًا به في الشريعة الإسلامية، انظر مقال الرأي الذي كتبه محمد هشام محمد كمال في هذا العدد من المجلة.

93 انظر الحاشية رقم 85 أعلاه.

94 انظر أيضًا:

Raymond Cohen, "Language and Conflict Resolution: The Limits of English", *International Studies Review*, Vol. 3, No. 1, 2001.

David Rieff, *A Bed for the Night: Humanitarianism in Crisis*, Simon and Schuster, New York 2002.

من عدم وجود فروق حقيقية بين «الحياد وعدم التحيز والمشاركة»⁹⁶ ولعل الاختلاف يظهر في التكليف الديني الذي يشعر به جميع المسلمين كشعور متأصل- الدعوة للالتزام بالتوجيهات الأخلاقية تتم بطريقة ترتبط بعلاقة المؤمن بالله ولا يمكن قياسها أو مقارنتها بطريقة كمية.

هناك مفارقتان متأصلتان في هذا التوتر بين مبدأ الحياد وخبرات المنظمات الدينية الإسلامية في السياق الحديث. الأولى أن غرض المنظمات الإنسانية التي تعمل بحياد وعدم تحيز قد يتعطل بسبب الواقع السياسي لبيئة العمل، بطريقة تصبح بها الهوية «الدينية»، التي تُتجنب كثيراً في القطاع الإنساني، اللغة الوحيدة الصالحة لبناء المصادقية. ومن الشائع أن تكافح منظمات المساعدة الدولية ضد معتقدات «تحيزها الغربي» والاتهامات بأنها تشترك مع الأطراف العسكرية والحكومات المعادية: وقد يتفاقم هذا الوضع في حالات «عسكرة المساعدة» مثل ما حدث في أفغانستان،⁹⁷ أو عندما يطلب من المنظمات غير الحكومية الدولية التنسيق مع حكومات عسكرية أو أجنبية. ففي هذه السياقات، يتمتع الشركاء المحليون والمنظمات الدينية المسلمة صراحة بميزة في تكوين علاقات مع مجتمعات دينية،⁹⁸ وكثيراً ما تتكون من الثقة فقط على أساس هوية دينية واضحة حتى لو لم تُعالج مسألة القيم المشتركة بأي درجة من درجات العمق.

الجانب الآخر لهذا السيناريو هو أن السياق السياسي الدولي الحالي «للحرب على الإرهاب» قد أدى إلى مزيد من التمييز السلبي والتحيز من جانب الجهات المانحة، على أساس الهوية الدينية التي يُنظر إليها على أنها خطر على عدم التحيز من جانب المنظمات الدينية. وعلى الرغم من أن المنظمات الدينية الإسلامية في بعض السياقات تتلقى دعماً أكبر بسبب قدرتها على الوصول إلى أماكن لا تستطيع الجهات المانحة «الغربية» الوصول إليها، فإن التمويل يضعف أو يصبح من المستحيل تنفيذ الأنشطة بسبب خطر الوقوع تحت طائلة

MoreAltitude, "Neutrality, Impartiality, Complicity", *WanderLust: Notes from a Global Nomad*, April 2009, available at:

<http://morealtitude.wordpress.com/articles-on-aid-work/neutralty-impairtiality-complicity>

Lara Olson, "Fighting for Humanitarian Space: NGOs in Afghanistan", *Journal of Military and Strategic Studies*, Vol. 9, No. 1, 2006, available at:

www.jmss.org/jmss/index.php/jmss/article/viewArticle/121

See also Jonathan Goodhand, "Aiding Violence or Building Peace? The Role of International Aid in Afghanistan", *Third World Quarterly*, Vol. 23, No. 5, 2002.

98 للاطلاع على تجربة منظمة الإغاثة الإسلامية، انظر:

Islamic Relief Worldwide, *An Examination of Islamic Relief's Work with Refugees and IDPs*, Birmingham, 2008, available at:

<http://policy.islamic-relief.com/portfolio/an-examination-of-islamic-reliefs-work-with-refugees-and-idps>

تشريعات مكافحة الإرهاب⁹⁹.

تستغل عملها من الدين أم تُستغل من خلاله؟

يمكن القول إن الدافع لتحسين التعامل مع الدين، ولا سيما الإسلام، هو في الأساس مثال لاستغلال التعاليم الدينية لدعم نهج لتنفيذ أنشطة إنسانية أو تنمية (مثل النهوض بحقوق الإنسان). ويتمشى هذا مع النهج السائد اليوم لفهم التقاليد الدينية، التي يعرفها «جيدون أران» على أنها «متمسكة بالتقاليد» أكثر من كونها «تقليدية» حيث يستخدم «مستخدمو» التقاليد أمثلة لتحقيق أهدافهم التي تكون عادة مصحوبة باعتقاد أنهم «يتوخون الأمانة في إعادة الحاضر إلى ما يرون أنه تمثيل أصيل للماضي». ¹⁰⁰ ويمكن تقديم هذا الرأي بالطريقة ذاتها حول التحليل الوارد في جزء سابق من هذا المقال للعلاقة بين المبادئ الإسلامية والإنسانية. ينعكس هذا الواقع في تعليقات بعض العاملين على ربط القانون الدولي الإنساني بالفقه الإسلامي حيث يقولون أن «بعضها شديد الاستغلال» حيث تبحث الأطراف الفاعلة عن آيات معينة لمساعدتها في سيناريوهات معينة (التعرض للخطف على سبيل المثال)، ¹⁰¹ وأن الشريعة الإسلامية لا «تفتح الباب» ببساطة لنتائج محددة. ¹⁰²

لا تزال المنظمات الإنسانية التي تقدم مساعدات على نطاق واسع يُنظر إليها في الوقت الحالي على أن أغلبها يأتي من العالم الشمالي وتستغل خيارات استخدام النهج التي لا تستغل الدين لدعم النهج الحالية محدودة بسبب هذا. وتظل قدرة الجهات التي تخرج من

99 انظر:

Kate Mackintosh and Patrick Duplat, *Study of the Impact of Donor Counter-Terrorism Measures on Principled Humanitarian Action*, Office for the Coordination of Humanitarian Affairs and Norwegian Refugee Council, July 2013, Available at:

https://docs.unocha.org/sites/dms/Documents/CT_Study_Full_Report.pdf;

Sara Pantuliano, Kate Mackintosh and Samir Elhawary with Victoria Metcalfe, *Counter-terrorism and Humanitarian Action*, Humanitarian Policy Group Policy Brief 43, Overseas Development Institute (ODI), October 2011; Counterterrorism and Humanitarian Engagement Project, *Counterterrorism and Humanitarian Engagement in Somalia and Mali: Background Briefing*, Research and Policy Paper, March 2013, available at:

<http://blogs.law.harvard.edu/cheoproject/files/2012/10/CHE-Project-Somalia-and-Mali.pdf>;

and Jessica Burniske, Naz K. Modirzadeh and Dustin Lewis, *Counterterrorism Laws: What Aid Agencies Need to Know*, Network Paper No. 79, Humanitarian Practice Network, November 2014, available at:

www.odihpn.org/hpn-resources/network-papers/counterterrorism-laws-what-aid-agencies-need-to-know.

Gideon Aran, "On Religion and Violence", *Contending Modernities*, University of Notre Dame's Kroc Institute for International Peace Studies, 25 November 2014, available at:

[/http://blogs.nd.edu/contendingmodernities/2014/11/25/on-religion-and-violence](http://blogs.nd.edu/contendingmodernities/2014/11/25/on-religion-and-violence)

Naz K. Modirzadeh, quoted in Heba Aly, "Can Islamic Law Be an Answer for Humanitarians?", *IRIN News*, 24 April 2014, available at:

www.irinnews.org/report/99989/can-islamic-law-be-an-answer-forhumanitarians.

See also Heba Aly, "Jihadi Jurisprudence? Militant Interpretations of Islamic Rules of War", *IRIN News*, 24 April 2014, available at:

www.irinnews.org/report/99989/can-islamic-law-be-an-answer-forhumanitarians.

Andrew March and Naz K. Modirzadeh, "Ambivalent Universalism? Jus ad bellum in Modern Islamic Legal Discourse", *European Journal of International Law*, Vol. 24, No. 1, 2013, available at:

http://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=2100540

مجتمعات مسلمة على تشكيل الرواية مقيدة بحقيقة أن معظم أموال الجهات التي تتبرع لها تأتي من النظام نفسه الذي يظل قريباً من أيديولوجية علمانية. ويؤدي هذا إلى الحفاظ على علاقة القوة لصالح النهج «العالمي» (الذي لا تشعر بعالميته دائماً في الواقع كثير من المجتمعات التي وُضع هذا النهج لمساعدتها). ولكن ما أن تنتقل هذه المساعدة إلى المستوى المحلي أو المجتمعي، تصبح هذه العلاقات أكثر مرونة بكثير. فيمجرد الابتعاد عن توقعات الجهة «الدولية»، تستخدم المجتمعات المحلية في كثير من الأحيان الإطار الأخلاقي لديها وتقاليد المجتمع لنشر القيم والإطار الأخلاقي للعمل.

وقد أكد على أهمية هذا بشكل لا لبس فيه المستفيدون المشاركون في مشروع لتحويل النزاع نفذته منظمة الإغاثة الإسلامية في اليمن في عام 2011:

فعلى الرغم من أن المدرب كان يشير إلى الأمم المتحدة وحقوق الإنسان الدولية، رد أحد المشاركين قائلاً إن الإسلام عالج حقوق الإنسان قبل 1400 سنة... ووقف مشارك آخر وقال إنهم (المتدربين) لا يصدقون ولا يتفقون في أي كتاب أو مادة لا ترتبط بالمفاهيم الإسلامية.¹⁰³

تمثل هذه المشاعر تحدياً واضحاً للمنظمات الدينية لتصميم نهج تستند إلى قيم وهويات المجتمعات التي تعمل بها وترتبط بها بدلاً من مجرد «ترجمة» النهج الدولية إلى السياق المحلي. أشار التحليل الوارد أعلاه إلى وجود قواسم مشتركة بين النهج الدولي والسياس المحلي، غير أن مشاعر مثل تلك الواردة بالوصف تشير إلى أن التوترات قد تأتي في الواقع من غياب الاتصال حول هذه المشاعر. تحتفظ المبادئ الإنسانية باحترام للدين والممارسات الدينية بالإضافة إلى الالتزام بالامتناع عن الخلاف الديني، غير أن تجربة المنظمات الدينية يبدو أنها تشير إلى أن هذا الأمر غير مفهوم بشكل واضح لدى من يحصلون على المساعدات الإنسانية. ففي لبنان على سبيل المثال، طرح المؤلف أسئلة مبدئية على موظفي وشركاء الإغاثة الإسلامية حول كيف تلهم عقيدتهم عملهم مع اللاجئين السوريين، فكانت الإجابة الفورية في صورة إعلانات قوية حول أهمية عدم التمييز والتأكيد على أن أي مناقشة لمسألة الدين تفهم في المقام الأول على أنها خطر محتمل على المبادئ الإنسانية. وعلى الرغم من وجود تاريخ طويل وأصول دينية حول حقوق المهاجرين قسراً في الإسلام،¹⁰⁴ فقد ركزت الأفكار المستلهمة من الدين على تقديم المساعدة الخيرية بصفة عامة بدلاً من فهم الالتزامات الدينية بدعم النازحين.¹⁰⁵

103 Islamic Relief Yemen, *Citizens Empowerment in Conflict Transformation and Peace Building Program*, Observation Report, December 2011 (internal document), quoted in L. V. Moore, above note 36, p. 4, available at: http://policy.islamic-relief.com/wp-content/uploads/2014/05/IR_Conflict-Toolkit_Introduction-for-external-agencies.pdf

104 انظر: Sadia Kidwai, *The Rights of Forced Migrants in Islam*, Islamic Relief Worldwide, Birmingham, 2014; and Ahmed Abou Abu-Wafa, *The Right to Asylum between Islamic Shari'ah and International Refugee Law: A Comparative Study*, UNHCR, Riyadh, 2009.

105 S. Kidwai, L. V. Moore and A. Fitzgibbon, above note 81

في القطاع الإنساني، يبدو أن «عدم التحيز» و«الحياد» قد أفضيا إلى صمت بشأن الحوار الديني، وفقدان القواسم المشتركة فيما بينهما حيث تتجنب المناقشة حول القيم المشتركة بدلاً من إدماجها في مناقشة حول مبادئ العمل الإنساني. وبذلك، ربما كان التحدي الذي يواجه ربط المبادئ الإنسانية بالمجتمعات المتنوعة يتعلق بالاتصال لا بعدم التوافق.

نهج إسلامي للمبادئ الإنسانية؟

الواجب الإنساني هو المبدأ الإنساني الذي يأتي في المقام الأول. ومع ذلك تلتزم قواعد السلوك لعام 1949 «باحترام الثقافة والتقاليد» و«محاولة إقامة الهياكل اللازمة لمواجهة الكوارث على أساس الإمكانيات المحلية» و«إيجاد الوسائل الكفيلة بإشراك المستفيدين من البرامج في إدارة معونات الإغاثة» و«الاعتراف بضحايا الكوارث كبشر ذوي كرامة»¹⁰⁶ وسيكون هناك دائماً دور للمبادئ الإنسانية في تحديد الممارسات الجيدة، ولكن أسلوب القيام بهذا قد يتمكن من الاستجابة لسياق معين بغرض تقليل التوترات (المتصورة أو الواقعية) المحسوسة بين الأطر الأخلاقية الدينية.

وللإشارة إلى ما يبدو عليه هذا النهج، سيتناول الجزء المتبقي من هذا المقال نهج التنمية البشرية التي عبرت عنها الإغاثة الإسلامية استناداً إلى مقاصد الشريعة¹⁰⁷ وتشير مقاصد الشريعة إلى أهداف الشريعة الإسلامية أو أغراضها، حيث تشير المقاصد إلى الأهداف وتشير الشريعة إلى السبيل إلى الله. ومن خلال الإقرار بأن النموذج السائد في دراسات وممارسات التنمية قد تأصل في رؤية عامة تسعى إلى إشباع الرغبات المختارة للأفراد وتركز تركيزاً أساسياً على التنمية الاقتصادية، سعت الإغاثة الإسلامية إلى استكشاف نهج مختلف يستند إلى منظور إسلامي يقوم على أساس الكرامة البشرية ومفهوم الوحدة التي الذي يحدد الرؤية العامة الشاملة للإسلام (التوحيد). وعلى الرغم من النموذج قد طور كأساس للمبادرات التنموية للإغاثة الإسلامية، فإن النهج يتمتع بإمكانيات كبيرة، ويمكن تطوير صلاحيته لفهم العمل الإنساني بصورة أكثر عموماً على أساس الإطار الأخلاقي المنصوص عليه في العقيدة الإسلامية.

اعتمد خبراء الاقتصاد المسلمون مصطلح *الفلاح* (الذي يعني حرفياً «النجاح»)¹⁰⁸ ووسعوا نطاق فهمهم لهذا المصطلح ليشير إلى حالة شاملة النجاح في هذا العالم (بما في ذلك النجاح الروحي والثقافي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي) وكذلك الفلاح في الآخرة. ثمة مصطلح آخر متصل بالتنمية البشرية في الإسلام وهو *التزكية* (التنمية، حرفياً «النمو في الطهارة»). وعلى الرغم من أنه يشير تقليدياً إلى التنمية الروحية، وسع العلماء نطاق تطبيقه، ليسمح للمفهوم أيضاً بالإشارة إلى النمو في علاقة الفرد بالله وعلاقة الأفراد بأنفسهم وبغيرهم وبالبيئة الطبيعية. يرتبط المصطلح العربي الذي يشيع استخدامه للإشارة إلى التنمية البشرية (النمو) ارتباطاً قوياً بالتنمية الاقتصادية والمادية، فيما يشبه بعض الشيء الرؤية السائدة للتنمية في الحوار العلماني.

106 قواعد السلوك لعام 1994، الحاشية رقم 35 أعلاه، المادة (7).

107 يستند هذا القسم إلى أبحاث ومطويات Dr. Muhtari Aminu-Kano و Atallah Fitzgibbon وعلى وجه الخصوص:

An Islamic Perspective on Human Development، الحاشية رقم 36 أعلاه

108 Mohammad A. Muqtedar Khan, "The Philosophical Foundations of Islamic Political", Economy, *American Journal of Islamic Social Sciences*, Vol. 13, No. 3, 1994, pp. 389-400

تقدم مبادئ الوصاية (الخليفة)¹⁰⁹ والفلاح بجانب النمو والتركية فكرة شاملة عن الثراء البشري وتهدف إلى وضع الناس والله في محور التنمية البشرية. وفي وجهة النظر المذكورة، أدى التركيز على المتطلبات المادية فيما يتعلق بالاحتياجات غير المادية والروحية إلى فصل البشر عن الله وعن فطرهم الحقيقية وعن البيئة الطبيعية، ما أدى إلى نضوب الموارد وتدهور البيئات وتعميق عدم المساواة. وإن النتيجة العملية لنهج يجمع هذه المبادئ الإسلامية هو أن الثروة لا يمكن السعي وراءها على حساب الصحة الروحية أو على حساب البيئة.

في الإسلام، يتمثل الهدف الأساسي للتنمية في تهيئة بيئة تمكن الناس من التمتع بالنجاح الروحي والأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي في هذا العالم والنجاح في الآخرة (الذي يشار إليه عادة بالفلاح). تشير الشريعة أو «سبيل الله» إلى القواعد الأخلاقية أو القانون الديني الذي يعتقد المسلمون أنه يؤدي إلى النجاح إن اتبعوه. ويرى الغزالي أن:

هدف الشريعة هو دعم الفلاح الإنساني الذي يمكن في حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة.¹¹⁰

وكان الإمام أبو حامد الغزالي، في كتابه «المصطفى في علم الأصول»¹¹¹ هو أول من وصف الفئات الخمس المذكورة أعلاه- وهي الدين والنفس والعقل والنسل والمال- بأنها المقاصد الضرورية. وكان الإمام الشاطبي أول عالم يكتب عن المقاصد كعلم مستقل في كتابه «الموافقات في أصول الشريعة».¹¹² ويتفق العلماء على القيم الأساسية الخمس¹¹³ التي حددها الغزالي، على الرغم من أن البعض أضاف مقاصد أخرى إلى القائمة.¹¹⁴ هناك اختلافات طفيفة بين الفقهاء في التسمية وترتيب أهمية الأهداف الخمسة. فالمكونات الفردية لمقاصد الشريعة إما أنها مذكورة صراحة في القرآن والسنة أو استنبطت بشكل مباشر أو غير مباشر من هذه المصادر الرئيسية.

ممكن إطار المقاصد الإسلام من البقاء ملائماً للظروف والاستجابة للظروف المتغيرة للعالم الحديث وللسياقات الجديدة حيث بدأت الأساليب الحرفية والاسمية لتحقيق الشريعة

109 يذكر القرآن أن الأرض أعطيت كإمانة للإنسان وأن البشر مكلفون بالخلافة. انظر: سورة البقرة، الآية 30؛ وسورة الأعراب، الآية 72؛ وسورة النور، الآية 55

110 As quoted in Muhammed Umer Chapra, *The Islamic Vision of Development in the Light of Maqasid al-Shari'ah*, Occasional Papers Series No. 15, International Institute of Islamic Thought, London and Washington, DC, 2000, p. 21

111 الإمام أبو حامد الغزالي، المصطفى من علم الأصول (حول النظرية القانونية للفقه الإسلامي)؛ للاطلاع على ترجمات وطبعات متاحة حالياً، انظر:

www.maktabah.org/en/item/933-almustafsa-min-ilm-al-usul-on-legal-theory-of-muslim-jurisprudence-by-imam-ghazali.

112 إبراهيم بن الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، المجلدان 1 و 2، ترجمة Garnet Publishing, Reading, 2012 and 2014، Imran Ahsan Khan Nyazee

113 لا يهدف هذا المقال إلى تفصيل القواعد الإسلامية وفهم هذه الأركان الخمسة. لمزيد من المعلومات، انظر: Dr. M. Aminu-Kano and A. Fitzgibbon، الحاشية رقم 36 أعلاه.

114 يعتبر تقي الدين بن تيمية (توفي عام 728 هجرياً) أول عالم يحدد المقاصد بعدد محدد. وقد اعتمد هذا النهج العلماء المعاصرون بما في ذلك أحمد الريسوني ويوسف القرضاوي. على سبيل المثال، وسع القرضاوي قائمة المقاصد لتشمل الكرامة البشرية والحربة والرفاه الاجتماعية والإخاء. انظر:

Adis Duderija, *Maqasid Al-Shari'a and Contemporary Reformist Muslim Thought: An Examination*, Palgrave Macmillan, New York, 2014.

الإسلامية في إثبات عدم كفايتها لتقديم استجابات كاملة لتعقيدات الحضارة الإسلامية المتطورة والسيناريوهات الجديدة التي واجهتها.¹¹⁵ ويستند إطار المقاصد إلى نهج مفاده أن «كل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة»،¹¹⁶ ومن هذا الأساس يمكن تقييم الاستجابات للسيناريوهات الجديدة المذكورة في مقابل احتمال المصلحة أو الضرر العام والخاص. ولئن كان هذا لا يماثل المبادئ الإنسانية، هناك توافق أو تكامل يكفي للنظر في هذه النهج جنباً إلى جنب. ويمكن الاطلاع على أحد الأمثلة المذكورة في الشكل رقم (1) الخاص بأركان مقاصد الشريعة في إطار للحقوق.¹¹⁷ ويقدم هذا الشكل تمثيلاً مرئياً لدراسة الإغاثة الإسلامية المبدئية لكيفية ترجمة نهج مقاصد الشريعة لحماية ضروريات الحياة إلى نهج «يستند إلى الحقوق» أو يفهم في إطار علاقته بهذا النهج. فعلى سبيل المثال، توجه مقاصد الشريعة المسلمين نحو مراعاة حماية الدين والنفس، وهو الأمر الذي يمكن النظر إليه على أن يمثل علاقة متوافقة مع حق الاعتقاد الديني¹¹⁸ والحق في الحياة والأمن المنصوص عليها في اتفاقيات جنيف.¹¹⁹ ويمكن أن تساعد دراسة هذه الأطر واستخدامها على نقل ديناميات التبادل بين المستوى المحلي والوطني بعيداً عن استغلال التراث ونحو الحوار.

وإن نهجاً يستند إلى إطار أخلاقي مألوف ومناسب للمجتمعات المسلمة، وإن كان لا يحل محل القواعد الدولية، فقد يوفر نهجاً فعالاً لتنفيذ أنشطة إنسانية من شأنها «احترام الثقافة والتقاليد» و«محاولة إقامة الهياكل اللازمة لمواجهة الكوارث على أساس الإمكانيات المحلية» و«إشراك المستفيدين من البرامج في إدارة معونات الإغاثة» و«الاعتراف بضحايا الكوارث كبشر ذوي كرامة».¹²⁰ في هذه الحالة، قد يؤدي استخدام إطار مقاصد الشريعة لفهم دور المؤسسة الإنسانية إلى تهيئة مجالات للانخراط مع المجتمعات بطريقة تعزز القيم المشتركة بدلاً من استغلال الهوية. وبذلك، يمكن لإطار المقاصد، أو في الواقع المبادئ الإسلامية الأخرى مثل الشورى والعدل والكرامة،¹²¹ أن يوفر الأساس اللازم للاتصال بالمجتمعات المسلمة أو حتى المنظمات الدينية بشأن المبادئ الإنسانية.

Jasser Auda, *Maqasid Al-Shariah as Philosophy of Islamic Law: A Systems Approach*, 115
International Institute of Islamic Thought, London and Washington, DC, 2007, p. 16,
available at:

http://www.muslim-library.com/dl/books/English_Maqasid_alShariah_as_Philosophy_of_Islamic_Law_A_Systems_Approach.pdf

Imam Abu Hamid al-Ghazali, as quoted in M. Umer Chapra, *The Future of Economics: An Islamic Perspective*, Islamic Foundation, Leicester, 2000, p. 118

117 للاطلاع على مناقشة العلاقة بين حقوق الإنسان والعمل الإنساني، انظر:

Lin Cotterrell, *Human Rights and Poverty Reduction: Approaches to Human Rights in Humanitarian Crises*, ODI, October 2005,

متاح على الرابط التالي:

<https://www.odi.org/sites/odi.org.uk/files/odi-assets/publications-opinion-files/4345.pdf>

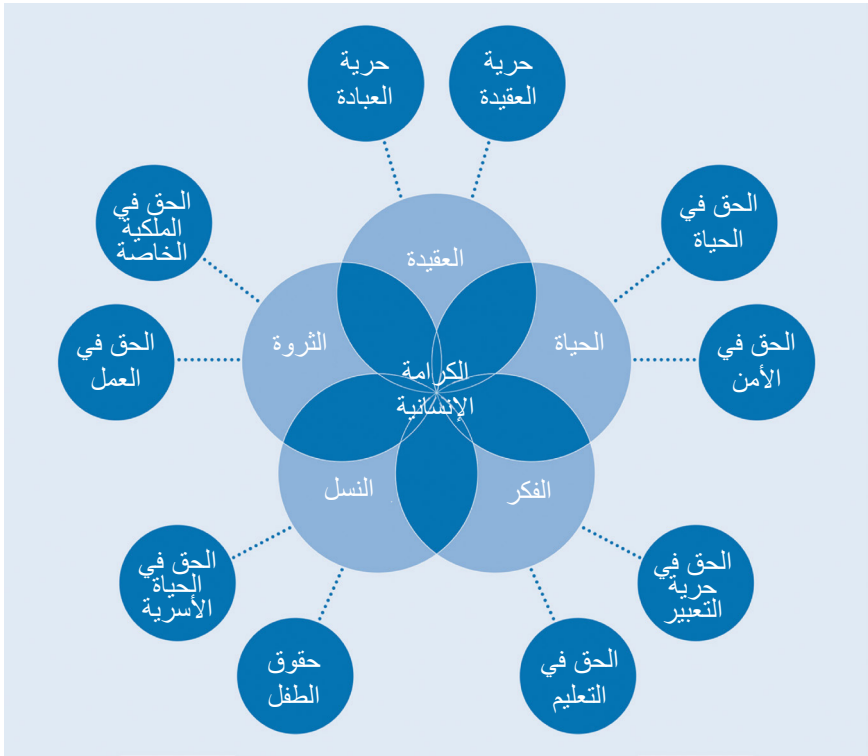
118 الجمعية العامة للأمم المتحدة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، 10 كانون الأول/ ديسمبر 1948، 217 ألف (ثالثاً)، المادة (18)، متاح على الرابط التالي:

<http://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html>

119 المرجع السابق، المادة (3).

120 اقتباسات مأخوذة من قواعد السلوك لعام 1994، الحاشية رقم 35 أعلاه، المواد (5) و(6) و(7) و(10) على التوالي.

121 للاطلاع على مناقشة موسعة للمبادئ الإسلامية وعلاقتها بالانخراط في مسائل النزاع، انظر القسم (1) من L. V. Moore، الحاشية رقم 36 أعلاه.



الشكل 1: اللون على الإنترنت. طباعة ألوان

الشكل 1. مثال على عناصر مقاصد الشريعة الإسلامية في إطار حقوق الإنسان. المصدر: الدكتور مهتاري أمينو-كانو وعطا الله فيتزجيون، التنمية البشرية من منظور إسلامي، منظمة الإغاثة الإسلامية عبر العالم، برمينغهام، 2014، ص. 17.

وإن المنظمات الدينية، في هذا السيناريو، ستشعر بالقدرة على بدء مناقشة مع مجتمع من منظور الأطر الأخلاقية الدينية بدلاً من الإشارة فقط إلى «المبادئ الإنسانية» أو «حقوق الإنسان». وبذلك، يمكن مناقشة القرارات الخاصة بتفاصيل كيفية عمل المنظمات الدينية الإسلامية حسب «الحياد» و«عدم التحيز» باستخدام إطار المقاصد. ومثل تقييم المخاطر، يمكن تقييم التصرفات على أساس احتمال الفائدة أو الضرر المتوقع للضروريات الخمس والكرامة الإنسانية. ومن شأن هذا أن يتوافق مع المبادئ الإنسانية وينبع من أساس تعترف به المجتمعات الدينية الإسلامية. بالإضافة إلى ذلك، سيكون هناك حافز أكبر للعمل الإنساني والتنموي المتكامل مع جانب المنظمات غير الحكومية والمجتمعات المسلمة بسبب طريقة إطار المقاصد في التأكيد على الطبيعة المتكاملة للكرامة والتنمية البشرية.

بدأت منظمة الإغاثة الإسلامية في تنفيذ هذا النهج على مدار السنوات الثلاث الماضية. وقد سلطت الأبحاث في مجال كيفية فهم أصول الدين الإسلامي ومقاصد الشريعة للتنمية البشرية الضوء على كيفية معالجة الفقر بطريقة شاملة. أي عن طريق معالجة معوقات تنمية الضروريات الخمس أو التهديدات التي تواجهها (الدين والنفس والعقل والنسل والمال). وقد وجه هذا البحث الانتباه نحو الطبيعة الشاملة والمتكاملة للفقر، ما أدى بمنظمة الإغاثة

الإسلامية إلى تطوير برنامجها للتنمية المستدامة المتكاملة.¹²² وهذا النهج، وإن كان مشتقاً مع أسس إسلامية، فإنه يتماشى مع الدعوات في القطاع الإنساني والتنمية الأوسع للانتقال بعيداً عن البرامج التي تركز على القطاع إلى تدخلات أكثر تكاملاً تتسم بالاستدامة على مدار الوقت.¹²³ وبجانب ذلك، فإن التدريب الجديد الذي وضعه المؤلف نظر إلى مراجعة احتمالات الضرر باستخدام مقاصد الشريعة كهيكل. وفي هذه الحالة، يحدد الموظفون جميع الضروريات الخمس ويدرسون احتمالات الفائدة والضرر لكل مجال من هذه المجالات التي يقدمها التدخل البشري أو الإنساني. وعلى الرغم من أن الأدلة لا تزال تُجمع، فقد أثبتت الإجابات المبدئية أن هذا الأمر محل ترحيب من الموظفين المسلمين تحديداً لأنه أقرب لدينهم.¹²⁴

الخاتمة

يمكن لدراسة الدور الذي ينهض به الدين في تعزيز أو استكمال المبادئ الإنسانية أن يوضح الفرق بين العلاقات التي تستند إلى عنوان هوية والعلاقات التي تستند إلى فهم قيم مشتركة. وتتمثل تجربة منظمة الإغاثة الإسلامية في أنه عند استدعاء عقيدة مشتركة كنظام للقيم المشتركة، فقد يكون له تأثير فعال. وينطوي فصل «الدين» كعلامة مميزة للهوية عن «الدين» كنظام للقيم المشتركة على تحديات وهو نقطة الانخراط مع أطر مثل مقاصد الشريعة. وتشير الدراسة الناقدة لأدوار الإيجابية والسلبية التي ينهض بها الدين للمنظمات الدينية إلى أن الدين وإن كان مصدر إلهام لمن يقدمون الدعم، لا يوجد في أغلب الأحوال مناقشة معمقة لتلك القيم المشتركة. وقد يبدأ استخدام نهج من قبيل مقاصد الشريعة في معالجة هذه المسألة.

والنهج الإسلامية ليست حلاً سحرياً لجميع المشكلات التي يواجهها العمل الإنساني، ولكن هناك إقرار أن التركيز على القيم المشتركة قد يكون دافعاً لإحداث تغيير سلوكي بطريقة لا يمكن تحقيقها من خلال التوجيهات غير المحددة المقدمة من أطراف خارجية. وفي سياقات مثل النزاعات بين المجتمعات المستضيفة واللاجئين حيث تشترك المجتمعات في هوية دينية، يمكن أن تساعد المناقشة الأكثر انفتاحاً للهوية والقيم الدينية الجهود الرامية إلى تخفيف حدة التوترات بطرق لا يمكن للتركيز المحدود على العمل الإنساني تحقيقها. وهذه الفكرة تؤيدها تجربة منظمة الإغاثة الإسلامية في سياقات مثل دارفور حيث ساعدت مناقشة القيم الدينية

122 مزيد من المعلومات والمصادر حول برنامج التنمية المستدامة المتكاملة لمنظمة الإغاثة الإسلامية متاحة على الرابط التالي:

<http://policy.islamic-relief.com/portfolio/islamic-relief-worldwides-integratedsustainable-development-programme>

123 مناقشات التنمية المستدامة والمتكاملة على مستوى قطاع التنمية موجودة بطريقة متباينة. للاطلاع على مثال لهذه المناقشات التي جرت وقت كتابة المقال، بما في ذلك معلومات عن مبادرات مرتبطة بالتنمية المتكاملة، انظر:

Adeeb Z. Mahmud's article on a panel held as a side event to the InterAction Forum, "Integrated Development – What Is It and Why Should We Care?", *FSG Blog*, 7 July 2015,

متاح على الرابط التالي:

www.fsg.org/blog/integrated-development%E2%80%94what-it-and-why-should-we-care

124 مأخوذ من تقارير داخلية لمتابعة وتقييم تدريب الإغاثة الإسلامية على تحول النزاع وحساسية النزاع في الفترة بين أيار/ مايو 2014 وحزيران/ يونيو 2015.

على تقليل التوترات بين الجماعات.¹²⁵

قدم هذا المقال بشكل متعمد نظرة إيجابية للدور المحتمل للعقيدة والدين في تفسير المبادئ الإنسانية وفهمها. إلا أن هذا لا يهدف إلى التغلب على التعقيدات والمخاطر التي يواجهها العمل الإنساني في إطار هذه المشكلات. والإسلام ليس كيانًا منفصلاً ولا متجانسًا؛ فالمجتمعات المسلمة تتمسك بوجهات نظر وتستخدم نهجًا متنوع مثل تنوع السياقات التي يعيشون فيها. وحسب تشخيص «نوريا بريكسي»،¹²⁶ هناك جماعات وصلت طبيعة النزاعات بالنسبة لها إلى مستوى بعيد جدًا حتى أن مفهومي الحياد أو الاستقلال أصبحا غير واقعيين ويات «القرب الثقافي» وحده غير كافٍ لضمان حوار فعال. ومع ذلك، فإن استثمار القطاع الإنساني في فهم وتقدير النهج البديلة لأحترام وتعزيز الكرامة الإنسانية قد يساعد في إزالة بعض الحواجز بين المستوى الدولي والمحلي، بالإضافة إلى اعتبار الحواجز التي تواجه المبادئ الإنسانية حواجز «عالمية» بدلًا من اعتبارها منتجًا من «الغرب».

L. V. Moore, above note 36, "Section 4c: Conflict Transformation", pp. 21–24, available at http://policy.islamic-relief.com/wp-content/uploads/2014/05/IR_Conflict-Toolkit_4c_Conflict-transformation.pdf 125

Nouria Brikci, "Is Cultural Proximity the Answer to Gaining Access in Muslim Contexts?", *Humanitarian Exchange Magazine*, No. 29, March 2005, available at: www.odihpn.org/humanitarian-exchangemagazine/issue-29/is-cultural-proximity-the-answer-to-gaining-access-in-muslim-contexts 126